
غسان حامد عمر
ماذا حدث للسعوديين؟!!
CAFE LATTE
TWEET TWEET
CHAO
FACEBOOK ME
SEE YOU LATER
حلمي التوني 2013
دار المناهج



ماذا حدث للسعوديين ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

غسّان حامد عمر

ماذا حدث للسعوديين؟







للطباعة والنشر والتوزيع

الترقيم الدولي: 9 789953 448787

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ - فبراير ٢٠١٤ م

الطبعة الثانية ١٤٣٥ هـ - ابريل ٢٠١٤ م

عنوان الكتاب : ماذا حدث للسعوديين

المؤلف : غسان حامد عمر

عدد الصفحات : ٢٧٢

قياس الصفحة:١٤x٢١

الإخراج والتنضيد: داتا سكرين

الغلاف: الفنان حلمي التوني

الخطوط:حسين ماجد

التنفيذ الطباعي هادي برس

للتواصل مع الكاتب

Email:ghassan.hamid.omar@gmail.com

الناشر: دار المناهل

E-mail:daralmanahel75@hotmail.com

شهادة إيداع

تشهد مكتبة الملك فهد الوطنية بأن المودع /

غسان حامد عمر

قد أودع نسختين من العمل الموسوم بـ

ماذا حدث للسعوديين

ت رقم 1435/3953 وتاريخ 1435/05/22

التوزيع في المملكة العربية السعودية



هاتف - ٦٥١٠٤٢١ - ٦٥١٤٢٢٢ فاكس ٦٥١٦٥٩٣

جدة - الشرقية- شارع الستين - عمارة أبا الخيل

إهداء

يا حامد عمر

مقدمـة

اللهم ربّ جبريل وميكائيل وإسرافيل ...
عالمَ الغيب والشهادة..
أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون،
اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك،
إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم.

إبان أحداث ما سمّي بالربيع العربي، اتصل أحد الكتّاب الكبار برئيس تحرير إحدى كبريات الصحف في المملكة، ليسأله عن رأيه في كتابه الجديد، فكان ردّه غير متوقع :
«أخشى أن تكون الأحداث قد سبقتك» !

بدأت بذرة هذا الكتاب عام ٢٠٠٨ بعد قراءتي لكتاب الكاتب الكبير جلال أمين «ماذا حدث للمصريين»؟ فلقد لامست تشابهاً كبيراً في فصول الكتاب من حياة المصريين مع حياتنا من ناحية التغيرات الاجتماعية، خصوصاً أن أسلوب الأستاذ جلال سهل وممتع رغم كبر هامته.

مع بداية العام ٢٠١١ تغير مسار الكتاب، وكان ذلك

يعني تأخير موعد صدوره، وهو أمر سلبي، أما الإيجابي فيتمثل في الإفادة من الوقت لإثراء محتواه وتنقيح مادته لتواكب الأحداث المتسارعة في الداخل وفي الخارج وحتى كتابة هذه السطور.

لقد مرّ مواطنو هذه البلاد بمراحل مختلفة سوف أشرحها لاحقاً ضمن خطٍ زمني، ولن يلاحظها إلا ثلاثة: إنسان استيقظ من غيبوبة طويلة، أو زائر غائب عن البلاد لعقدين، أو امرؤ لديه بصيرة نافذة.. وأرجو أن أكون من النوع الأخير.

لمن هذا الكتاب؟

لا أعتقد أن هذا الكتاب يصلح لأكاديميين يقرأونه ويتفحصون مادته بعينٍ ناقدة، فلديهم أساتذتنا من علماء الإجتماع، الذين تملأ كتبهم رفوف المكتبات: وكما قال غازي القصيبي رحمه الله عن تبسيطه لكتاب «حياة في الإدارة»: إن أغلب كتب الإدارة كتبها أخصائيون ليقرأها أخصائيون آخرون !

لقد بذلت كل جهدي كي أصف المتغيرات التي طرأت على المجتمع السعودي خلال ثلاثة عقود، لا لأكون متحيزاً، فأنا عندما أتحدث عن موضوع فليس بالضرورة أن أكون مع أو ضد؛ مثلاً: لو قلت إن صور النساء اختفت تماماً من الصحف لعقدين حتى منتصف عام ٢٠٠٥، فإنني أصف

حال الصحف فقط..، وليس أكثر.

أثناء كتابتي للكتاب اكتشفت أمراً غريباً مع أنه بديهي، اكتشفت أن جدّة ليست المملكة! والناس مختلفون من منطقة لأخرى في هذه البلاد المترامية الأطراف، ولقد بذلت جهداً كي لا يبدو الكتاب وكأنه «ماذا حدث للجدّاويين».

أخيراً..

إن كان في هذا الكتاب من عملٍ جيّد فبتوفيق من المولى عزّ وجلّ، وإن كان فيه تقصير فمنّي، وأعتذر منك عزيزي القارىء.

وهنا أود أن أشكر الأستاذ والأخ ثامر شاكر على ما قدّمه لي من دعمٍ ومؤازرة، والأخ أحمد فضل الله عاصي الذي أشرف على تنسيق الكتاب وإخراجه بهذه الحلّة، وراجع النص ما جعله متاحاً بشكله النهائي، وأعمق الشكر وأفضله لوالدتي صاحبة الأفضال الكثيرة عليّ، وزوجتي التي سهّلت مهمّتي وشجّعتني.

نعم، هي تجربتي الأولى في عالم الكتابة، أرجو أن أتعلم منها الكثير.

أشكركم..



الرحالة عبد اللّه بوراك بصحبة زوجته
في أحد مقاهي جدّة في الخمسينيات من القرن الماضي

مجموعة د. عدنان اليافي

ماذا حدث للسعوديين؟

الخط الزمني

١٩٧٩. ٢٠٠١. ٢٠٠٦. ٢٠١١.

مما لا شكّ فيه، أن الأحداث التاريخية التي واكبت عمر المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها حتى يومنا هذا، أحداث كثيرة: من التأسيس لدخول الرياض مروراً باغتيال الملك فيصل، اجتياح الكويت والتهديدات التي طالت العاصمة الرياض، وإلى ما نشهده اليوم من أحداث.. وهذا حال الدنيا منذ أن خلقها الله .

إلا أنني أحببت أن أتحدث عن فترات أربع بعينها.. ثلاث منها عاصرتها، وواحدة لم أعاصرها لكننا نجني حصادها اليوم.

***

في عام ١٤٠٠ هجرية ـ وكما يعلم الجميع ـ دخلت مجموعة مسلحة المسجد الحرام وروّعت مصلّيه قبل طيوره. وبعد معركة دامت أسابيع فُضّ الحصار وأُسر جهيمان وبعض أتباعه، في حين قتل البعض الآخر.. واستشهد عشرات الضباط معظمهم سُجِّل اسمه على لوحة في «فندق الشهداء» بمكة المكرمة. أعدم جهيمان وبقيت أفكاره .

***

في عام ٢٠٠١، قامت مجموعة من الفتيان باختطاف طائرات أمريكية في أجواء أمريكية مسببة زلزالاً هو الأكبر منذ الحرب العالمية الثانية.

***

عام ٢٠٠٦، انهارت سوق الأسهم السعودية وسط ذهول المراقبين قبل المساهمين، ملتهمة مدخرات عشرات الآلاف من المواطنين .

***

وفي عام ٢٠١١، غرقت جدّة في السيول بعد عامين من كارثة أكبر طالت المدينة الثانية، وتلتها مدن أخرى في عدة

مناطق في أيام أخر. وفي العام نفسه هرب الرئيس التونسي «زين العابدين بن علي» من بلاده مدشّناً ما أُطلق عليه الربيع العربي، الذي، وإن لم تبلغ أمواجه المملكة العربية السعودية، فإنها أحدثت حراكاً لا يمكن تجاهله في الشارع السعودي.

في الصفحات التالية، أحاول وصف ما حدث للسعوديين من وجهة نظري، مستعيناً ببعض الآراء وببعض الأحداث التي عشتها.



فوزي خميس، مدير العلاقات العامة بالخطوط السعودية يشرح
للشيخ محمد بن راشد عن تطوّر الخطوط السعودية

الفصل الأول

قصة وطن

الضبط الإجتماعي والمثاقفة

يروي الكثيرون ممن عاشوا في الرياض منذ أربعين عاماً أن رجال الحسبة كانوا يسيرون راجلين في الشوارع لردع ممارسي السلوك الخاطىء كنوع من «الضبط الإجتماعي»، وكانوا من كبار السن ويعرفون باسم «النواب». وكان كلٌّ منهم يحمل عصا خفيفة، ينبّه الناس لدخول وقت الصلاة دون غلظة، ولم يكن هؤلاء «النواب» يحكمون على الناس بالشبهة أو بإطلاق الأحكام المسبقة عليهم، وكان عملهم يشمل أيضاً التحذير من التزاحم.

أما تعاملهم مع السيدات، فلقد كانت السيدات تكشفن عن وجوههن لرؤية البضائع والتحدث للبائع، وبعضهن كُنّ يضعن المسفع الخفيف كلباس اجتماعي من باب الحياء. والغريب، أن السيدات كُنّ يرضعن أبناءهنّ في السوق أمام المارة، كل ذلك على مرأى من رجال الحسبة وقتها، وإذا ما حصلت مخالفة من الشباب بما يعرف بالغزل، فإن رجال

الحسبة يضربون المخالف ضربة خفيفة على مؤخرته، وسط ضحكات المارين في السوق.

في عنيزة، التي كانت ممراً للقوافل الآتية من الشام والعراق إلى الحجاز، كان الناس منفتحين على ثقافات الشعوب بطبيعة الحال، وكانوا يقبلون على الغريب وهم يرتدون الثياب الحديثة وعلى رؤوسهم الطربوش التركي أحياناً.

وإلى زمان ليس ببعيد، كانت المذاهب الأربعة تدرّس في الحرم المكي في حلقات منتظمة لعلماء من الحجاز، ويحضرها المصلّون بمختلف ثقافاتهم.

على صعيد التعايش، فمن المعروف أن يهوداً قطنوا نجران في فترة بين الأربعينيات والسيتينيات الميلادية إلى أن تصعّد الصراع العربي الإسرائيلي فآثر هؤلاء الهجرة إلى اليمن[١].

وفي جدة كانت هناك مقبرة لغير المسلمين خارج سور جدّة، ومكانها موجود إلى الآن في شارع يحمل اسم «مقبرة النصارى».

ويروي لنا العم أحمد باديب وهو مرجع تاريخي للحجاز، كيف تميز الحجاز بصفتين: التديّن وحب الدنيا، فوصف

(١) انظر «اليهودي هارون.. والخواجة يني»، محمد الساعد.

حال بيتٍ من البيوت: عندما تدخله تجد الناس جلوساً في «الديوان» يستمعون للطرب الأصيل الخالي من الابتذال، وتجد المنازل في صباح الجمعة التالية وقد ملأها عبق المسك والبخور وأهل البيت يقرأون القرآن ويسبّحون، وفي الجوامع كانت هناك عادة قراءة القرآن بأصوات جميلة قبل الصلاة.(١)

وعن تكافل المجتمع، يستطرد باديب ويروي كيف كان يقف من به حاجة (وهو أمر نادر الحدوث) بعد صلاة الفجر بجانب حائط مميز متلثماً وصامتاً، فيسأله أهل الحي وهم خارجون من الصلاة عن حاجته ويعطونه ما تيسر، فيلوذ مسرعاً من الخجل والحياء.

السيد طلال النجيمان قال أيضاً، أنه في مطلع السبعينيات كان يأتي جدّة لزيارة عمه، وكان يشاهد فتيات أكبر منه سناً في ذلك الوقت ـ أعمارهن حوالي الخمسة عشر ربيعاً ـ كنّ يلعبن كرة القدم على الأرصفة أمام قصر الملك فيصل، حسب ما يتذكر جيداً، ولم يذكر وجود أي حالات تحرش أو معاكسات.

---

(١) موجودة إلى الآن في دول إسلامية، وفي لبنان تصدح أجمل الأصوات المؤثرة قبل صلاة الجمعة.

أنصاف العلماء

«كُلّ حديثٍ مُعرضٍ لِسوء الفهم،
(حتى الصمْت قد يُساء فهمه)» !!!

أتذكر موقفاً حدث في إحدى الأمسيات الثقافية في «إيتيليه الإسكندرية»، حين قام شابٌ ملتحٍ وقال للأديب الذي كان يتحدث عن كتابه الجديد :

لماذا تصر على شيطنة الإسلاميين في رواياتك ؟

فرد الأديب: عن أي رواية تتحدث بالضبط ؟

فقال الشاب: الرواية الفلانية.

فرد الأديب: تلك ليست رواية، إنما هي مجموعة مقالات فقط !

وعبثاً حاول الأديب إقناع الشاب ـ الذي اتضح أنه لم يسبق أن قرأ للكاتب شيئاً – أنه لم يفعل ذلك أبداً، بل وأنه

في الرواية المذكورة تعاطف مع شخصية الشاب الملتزم، وأنه كان ضحية قمع الشرطة والتعذيب، مما ألّب بعض الجمعيات المتطرفة في أوروبا ضد الأديب.

إنها ثقافة «الموجزات» كما يسميها الكاتب الكبير سمير عطا الله، ثقافة «ولا تقربوا الصلاة» وتقف عندها، تجتزىء سطرين من عمل كامل، تقرأ العنوان فترجم صاحبه بلا هوادة. لا يهم، فلا يملك أي كاتب حق الدفاع عن النص في كلّ مكان وزمان.

وكنت قد كتبت ذات مرة مدونة أسميتها «من مذكرات شاب غاضب» حملت بها هموم الشباب والشابات من جيلي والجيل الأصغر سناً، فكان أن لامست قلوبهم وعبّرت عما بداخلهم. وقامت إحدى قريباتي بإعادة نشرها على صفحتها في «فيس بوك»، ولحسن الحظ أنني اطلعت بالصدفة على التعليقات، ومنها تعليق لصديقة لها تقول: «يبدو لي أن هذا الشخص علماني». هكذا، وفي لحظة، مُحي تاريخ إنسان بينه مع ربه ما بينه في لحظة، وهذه تُهمة بسيطة أمام سيل القدح والذم في من يدلي برأيه عبر ساحات التواصل الاجتماعي، مما حذا بكثيرين فتح حسابات بأسماء مستعارة ووهمية ليعبروا عن آرائهم الشخصية التي غالباً ما تكون عادية جدّاً.

مع احترامي التام لجميع القراء والآراء، إلا أن حديثي المتواضع هنا ليس للمُصنِّفين ولا «اللامعمِّمين» الذين كلما ذكرت لهم أمراً ذا سوء قالوا: «لا تعمم»! فعندما تكثر الحوادث وتتكرر يصبح الأمر ظاهرة عامة تستحق الانتباه والعلاج.

سيقول البعض إن لدي مشكلة مع «الإسلام» وأهل الصلاح، وهنا أحب أن أنوّه أنني في مرحلة ما ومع التعايش داخل العقل الجمعي للمجتمع في العقدين الماضيين، كنت أظن أن المتدينين والدين الإسلامي أمر واحد! وجدال من يحملون المظهر الذي تُعارف عليه في عهد الصحوة يعدّ تعدياً على الإسلام العظيم!؟ والحقيقة أنهما أمران منفصلان تماماً .

لديّ أصدقاء يداومون على الصلاة في المسجد والاعتكاف فيه، ويشرفون على تبرعات للفقراء، وهؤلاء - وأنا أكنّ لهم كثيراً من التقدير والاحترام - ربما غضبوا من وصفي لسلوكيات بعض الذين يدّعون التدين لأغراض شخصية، ومن طلاب العلم «الفاشلين» الذين أحاطوا بمن يفترض أنهم مشائخ تلك الفترة في السابق فأبلسوا عليهم، وشيطنوا البشر من حولهم، فتشددت الآراء وتشنجت الفتاوى، وأنا أناشد هؤلاء الأحبة الوسطيين الربانيين أن يتبرأوا من هذه التصرفات علناً كما يفعلون في الأحاديث الجانبية معي ومع

غيري[١]، وأن يدافعوا عن الأفكار لا عن الأشخاص بهدوء وروية، وعلى العلماء التبرؤ من أنصاف العلماء المنتشرين هذه الأيام الذين لا همَّ لهم إلا الموت والقبور لا الحياة والإعمار في الأرض التي استُخلفنا فيها وهي مزرعة الآخرة .

يقول المفكر الدكتور مصطفى محمود :

«الدين ليس حرفة ولا يصلح أن يكون حرفة.. ولا يوجد في الإسلام وظيفة اسمها رجل دين، ومجموعة المناسك والشعائر التي يؤديها المسلم يمكن أن تؤدى في روتينية مكررة فاترة خالية من الشعور فلا تكون من الدين في شيء، وليس عندنا زي اسمه زي إسلامي.. والجلباب والسروال والشمروخ واللحية أعراف وعادات يشترك فيها المسلم والبوذي والمجوسي والترزي. ومطربو الديسكو والهيبي لحاهم أطول.

وأن يكون اسمك محمداً أو علياً أو عثمان، لا يكفي لكي تكون مسلماً، وديانتك على البطاقة هي الأخرى مجرد كلمة.

والسبحة والتمتمة والحمحمة وسمْت الدراويش[٢] وتهليلة

---

(١) كثير من إخواننا هؤلاء يوافقونك على نقد تصرفات بعض المحتسبين وسوء خلق بعض العاملين في الدعوة، ولكنهم - لأسباب مجهولة - لا يجاهرون بذلك! ؟

(٢) «الفرد ما أن ينخرط في جمهور محدّد حتى يتخذ سمات خاصة ما كانت موجودة فيه سابقاً». غوستاف لوبون في: سيكيولوجية الجماهير.

المشايخ أحياناً يباشرها الممثلون بإجادة أكثر من أصحابها والرايات واللافتات والمجامر والمباخر والجماعات الدينية أحياناً يختفي وراءها التآمر والمكر السياسي والفتن والثورات التي لا تمتّ إلى الدين بسبب».

أنت لديك مشكلة مع الإسلام ؟!

أولاً: الإسلام العظيم لا يختزل في أشخاص وآيديولوجيات، الدين العظيم أفق واسع يتسع لجميع المسلمين ولا يعلم حقيقة البشر إلا رب البشر. ومن أكبر الأخطاء و«الأخطار» على المجتمع: التصنيف والإقصاء والتخندق ورمي «الآخر» وعدم إعطائه حرية إبداء الرأي، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ .

ثانياً «متديّن» و«ملتزم» و«زواج إسلامي»، كلمات تحفز على تقسيم المجتمع على أساس طبقي، لأن غير ذلك يعتبر غير إسلامي وغير ملتزم وغير متدين.

« إن أسوا ما في المتدينين أنهم يتسامحون مع الفاسدين ولا يتسامحون مع المفكرين».

عبد الله القصيمي

معضلة الملايو

كتب ماهاتير محمد في مطلع السبعينيات كتاباً أثار الجدل وقتها في مجتمع عليل، بعنوان : معضلة الملايو، وصف فيه الشعب الماليزي بأنه كسول وبأوصاف أخرى لم ترُق للغالبية، التي قامت برفض ما قال، (وهذا طبيعي). ولكن مهاتير محمد استمرّ على رأيه حتى أصبح داخل البرلمان وتدرج في الحكومة إلى أن وصل إلى رأس الهرم، وقام بتطبيق ما آمن به من نظريات فنهض بماليزيا من التخلف لما شاء الناس أن يتغيروا.

لست هنا لأقارن نفسي بالسيد مهاتير، لكنني أقدم ما شاهدته كشاب في وسط الناس والمجتمع، تغيرت الدنيا من حولنا ولم يعد شيئ خافياً على أحد في عصر المعلومة والتسارع الرهيب المخيف لوسائل الإتصال من حولنا ، لم تعد المعلومة خفية وبالتالي إنكارها ليس بالأمر المحمود.

نعم إن لدينا مشكلة، هكذا تقول الأرقام والمعطيات التي

يحاول البعض إخفاءها. إن من يجلس في برج عاجي بعيداً عن مشاكل الناس لم ولن يشعر بهم، طالما أن شاباً أرعن يقود باستهتار لم يصدم أسرته، أو أنه يقضي أجمل أوقاته خارج البلاد ومن ثم يعود أدراجه ليعمل في مناخٍ معزول ومريح ليسافر مرة أخرى.

جلست ذات مرة أحاول أن أفرق بين التشاؤم والتفاؤل. التفاؤل، في رأيي، سُنّة حسنة، غير أنه تفاؤل «هش» إن لم يُبنَ على أسسٍ وجيهة، فكيف يتفاءل طالب لا يستذكر بتاتاً بأنه سينجح؟ والتشاؤم هو أن أقول : «لا تُرجى أي فائدة، نحن أناس فاشلون»، والأولى أن نشير إلى مواضع الخلل، وأن نسعى إلى إصلاحها.

إننا اليوم، وسط هذا الحراك الفكري الشديد من حولنا، نحرث أرضا ميتةً، وإذ نفعل ذلك حتماً سيظهر لنا الصالح والطالح ... نعيد النظر فيما فات ... تحسباً لما هو آت ، وأن يقوم المرء بجلد ذاته خير من أن يجلدها الآخرون! والأمم التي تريد أن تطوّر، لا تدقق في هوية الناصح ولا تنقب في نواياه ولا تكترث بمراميه، لكن تغربل نصيحته فتأخذ أحسن ما فيها .

قالت لي إحدى القارئات أنها تعيب عليّ ذكر المختصّين في كثير من مقالاتي. وقد تنبهت لهذا الأمر الذي أعزوه إلى إرجاع الأمر إلى أهله من المختصين، ومن المتعارف عليه، في ألمانيا، أن الحديث في موضوع معين يترك وقت النقاش لصاحب التخصص مهما كان عمره! لقد التقيت بشخصيات كبيرة ومتخصصة بسبب مصاحبتي لوالدي منذ طفولتي في أمسيات ثقافية وأدبية عدة، وأكملت المسيرة بعد رحيل والدي رحمه الله ذلك الرجل العملاق الذي ولد في زمان غير زمانه.

ما سطرته هنا، هو ما أراه اليوم أنا ويراه كثيرون، فكلنا يدعي معرفة الحقيقة في كل مرحلة من مراحل حياته، منذ المهد إلى اللحد، ولا يلبث أن يغير رأيه دون أن يلحظ[1]!

قصة طريفة: اضطرت إحدى فتيات أسرتنا لإكمال رسالة الماجستير في الخارج مباشرة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، فقامت صديقة لوالدتها بتأنيب الوالدة لإرسال ابنتها إلى الخارج مع العلم أنها كانت في بداية الثلاثينيات، ودارت الأيام ومع عصر البعثات الذي ركب موجته الجميع، (حتى خشيت أن تتركنا جدتي للإلتحاق ببعثة!) علمت والدة

(١) «يزداد تعلقنا بالمبدأ بقدر ما يزداد تعلق مصالحنا به»، غازي القصيبي رحمه الله
هل تغير نظرة المجتمع للأشياء يغير من أحكامها؟.

قريبتي أن صديقتها التي كانت تنكر سفر ابنتها، أصبح لديها ابنتان في مقتبل العشرينات يدرسن لوحدهن!

وحاولت قدر المستطاع تفادي فتح الموضوع مع قريبتي!.

«كيف لنا أن نفهم حقيقة أن الفتاة السعودية المسلمة تخشى المواطن السعودي المسلم أضعاف أضعاف ما تخشى المواطن الغربي الكافر» .

@Aladdin_Khatib

الفصل الثاني

زمن الصحوة

توطئة

يعرّف الدكتور عبد الله الغذامي الصحوة بأنها ظرف ثقافي جاء ليملأ فراغ القومية العربية، رغبة من الشباب في عودة إرثهم الإسلامي. بينما يرى الأستاذ عبد العزيز الخضر[1] أن الصحوة ابتدأت وقت ما أسماه «الجلطة النفطية»، عندما هبطت أسعار النفط وتراجعت الطفرة وبدأ شباب كثيرون يعودون من الخارج بعضهم بمشاكل أخلاقية وأحياناً مشاكل مخدرات، فكثر التائبون والعائدون إلى الله، وازدحمت المساجد، خصوصاً أوقات المحاضرات، وخلت مدرجات الأندية الرياضية والنوادي الأدبية من الشباب.

أفكار الصحوة موجودة قبل عام ١٤٠٠، ولكن ذلك العام أعطاها زخماً كبيراً، وتلته أحداث حرب أفغانستان وما تلاها من أحداث إلى عام ٢٠٠١م.

بدأت مظاهر الصحوة حوالي العام ١٤٠٧ هجرية تظهر

---

(١) السعودية سيرة دولة ومجتمع.

في مدرجات الجامعات و المدارس حين لبس الشباب الثياب القصيرة نسبياً وخلعوا العِقَل التي كانت هي العرف في تلك الفترة[١]، بل وتحدثوا بطريقة غريبة عن السائد كأن يقلقلوا الكلمات العادية مثل قلقلة القرآن الكريم .

شيئاً فشيئاً أصبح للصحوة إفرازات من المنظّرين لها وبدأت تنتشر محاضراتهم التي غذّت عقول الشباب بالمحمود، مثل صلة الرحم وترك المال الحرام وغيرها من الأمور المحمودة، وبأمور أخرى كالتحذير من بعض المثقفين وأفكارهم التي وصفتهم بأوصاف وصلت إلى «عبدة الشيطان» أحياناً، مما أسفر عن حصارات الأندية الأدبية ومهاجمة مهرجان «الجنادرية» وغيرها من السلوكيات الجديدة على البيت السعودي الوسطي، كإغلاق صوت التلفاز وقت الموسيقى في حضور الوالدين المدهوشين من تصرفات أبنائهم التي أخذت أسلوب الغلظة التي كادت ألاّ يخلو منزل منها في

---

(١) شكلت الحالة السلفية والصحوية صدمة للشيخ الغزالي رحمه الله، وكان يغضب كثيراً من الطلاب الذين يقاطعون محاضراته بحجة تضعيف الحديث، وكان يقول: إنّ حال هؤلاء الشباب كمن «قلب شجرة الإسلام» فجعل فروعها في الأسفل وجذورها في الأعلى! وكان رحمه الله يعجب من تقديم مظاهر التديّن وكثرة آراء التحريم على أولويات الدين كالعدل والأمانة والصدق وأركان الإسلام في أمة ممزقة ومهزومة، مشبهاً ذلك الشباب بمن يدخل محلات «عمر أفندي» ويخرج لابساً «شراباً وربطة عنقٍ» فقط !

تلك الحقبة، والقصص كثيرة حولنا التي تبيّن كيف أن الشباب حاولوا درء أمر مذموم أو غير موافق لهواهم بأمر أكبر يصل إلى الكبيرة كعقوق الوالدين، كأن يصطدم الولد بأبيه ليقطع سلك الطبق اللاقط في تلك المرحلة، أو أن يدفع والدته بقوة ليفصل قسراً الأغاني ليلة عرس أخته، أو ضرب الأخت مثلاً في حالة وجد لديها مجلة نسائية، حيث أخذ بعض هؤلاء الشباب دور الأب المربي أحياناً، ونستطيع القول إنه الذراع الديني للأسرة والمجتمع[1].

في السنوات القادمة، سوف تحدث تغييرات كبيرة في المجتمع السعودي. ستطغى تقاليد القبيلة على المدينة، ويختلط العرف بالدين الذي سيختزل في مظاهر خارجية من ثوبٍ قصير وسواك ونقاب، حتى «المرأة» حين يختفي ذكر الزوجة واسمها في قصص الرجل لأقرانه، بل وسيلحقها البعض بكلمة غريبة: وأنت «بكرامة». وستختفي المرأة من الصحف المحلية إلا من أخبار هامشية، وتتخلف عن التنمية لقرابة الثلاثين عاماً، حتى بالنسبة للبيوت ...

يروي من سكنوا الرياض أنه إلى مطلع التسعينيات كان أمراً مستنكراً أن يسكن السعودي في بناية بمدخل واحد،

---

(١) أحد الأطفال حطم «بيانو» لأخته الصغرى.

بحجة أن أهله قد يتكشفون على الجيران، وكانت البنايات بشكل عام حكراً على غير السعوديين[١]. ويسود المجتمع ثقافة الشك والريبة والتسرع في الحكم، وسينشأ جيل كامل على ثقافة الرأي الواحد والمذهب الواحد[٢]، وعلى شخصية الرجل الديكتاتوري مع أسرته الذي ظننا لفترة طويلة أنه هو الصحيح.

بالنسبة للعلوم الإنسانية والحياتية فإنها ستقتصر على تعليمها في المدارس، وبحذر شديد، مع البعد عن شخصيات إسلامية كثيرة تفتخر بها أمم أخرى وتحتفي بها، ونجرمها نحن ونشكك في معتقدها، بغضّ النظر عما قدمت للبشرية.

تكونت شخصية بل شخصيتان وربما أكثر، عجيبة غريبة متناقضة. في سنوات العتمة تبلورت شخصية المواطن الذي

---

(١) رسالة الماجستير للدكتور عزام الدخيل من جامعة كاليفورنيا، كانت بعنوان: «آثار التطور العمراني السريع على المباني التقليدية في المملكة العربية السعودية».

(٢) «المجتمع العربي مشغول بفكرة النمط الواحد على غرار القيمة الواحدة، ولذلك يحاول الناس أن يوحّدوا أشكال ملابسهم وبيوتهم وآراءهم، وتحت هذه الظروف تذوب استقلالية الفرد وخصوصيته واختلافه عن الآخرين، ويغيب مفهوم المواطن الفرد لتحل مكانه فكرة الجماعة المتشابهة المطيعة للنظام السائد، فيحاول الفرد أن يميّز نفسه بالنسب أو الثروة أو المنصب أو الشهادة العالية في مجتمع يغيب فيه الوعي بالمسؤولية». من كتاب: العرب وجهة نظر يابانية، للكاتب نوبو أكي نوتوهارا.

أصبح يخشى الرقابة البشرية كخشية الله أو أشد خشية.

باختصار نُزعت الألوان من المجتمع الذي بات يعيش حياة بلونين .. أسود غالباً ... وأحياناً أبيض.

«أخطأت الصحوة عندما بالغت في سد الذرائع دون إيجاد لبدائلٍ للناس وأخطأت أيضاً حين أهملت المرأة تماماً» .

محمد الحضيف

«أيعقل أن يضطر الناس في دولة كبيرة أن يعيشوا وفقاً لعادات وتقاليد مدينة صغيرة فيهـا، ووفقًا لتفسيرها الضيق للإسلام ؟» .

@JomanahKhojah

المراكز الصيفية

رغم أن أسرتنا الكبرى من ناحية والدتي أسرة متعلمة ومثقفة، إلا أنها لم تسلم من موجة التشدد، فعلى سبيل المثال، كان أحد أفراد الأسرة يعاتبنا إذا شاهدنا ونحن ذاهبون للمتجر بعد الصلاة لشراء بعض الحلويات مثلاً، ويفضل لو أننا بعثنا بهذه الريالات لإخواننا في البوسنة مثلاً، أو أن تحصل دربكة في حال رغبة أحدنا السلام على الجدة في وجود قريباتنا -حتى لو كن متحجبات- وهذه ظاهرة لم تكن موجودة على الأقل في الحجاز قبل ما سمي بالصحوة، أو أن يُطلب منا أن نبقى في المسجد الحرام في رمضان من صلاة العشاء إلى صلاة التهجد قبل الفجر. وكنا ما زلنا في سن الثانية عشرة. ناهيك عن خفض صوت الموسيقى وقت إعلانات التمثيليات، والنهي عن اللعب في نهار رمضان، وعدم الإكتراث بما قرأنا من القرآن، وحثنا على قراءة المزيد ومقارنتنا بغيرنا.

في صيف إحدى السنوات لم نسافر -حسب ما أتذكر- فاقترح أحد أفراد الأسرة أن نلتحق بأحد المراكز الصيفية، وهكذا فعلنا. المكان مدرسة حكومية في حالة سيئة. تم إلحاقنا بإحدى المجموعات التي سميت على أسماء أحد الصحابة مثل كثير من المدارس المتهالكة التي تحمل اسم أحد الصحابة العظماء وهو براء من طريقة التعليم ووسائل السلامة وقت الطوارئ

وكنت في مجموعة جعفر الطيار، والحقيقة أن كل ما تعلمناه هو علوم شرعية فقط، ومحاضرات من باب التلقين من قبل شباب وأساتذه على قدر بسيط من العلم ومنعدم من «الكاريزما» ! باستثناء دورة في الإسعافات الأولية. حتى المسرحية «الدينية» «الركيكة»، قامت على أساس غير علمي وعن عدم دراية بفنون المسرح، حيث إن المسرح وعلمه حرام!

الذي تنبهت له كشاب، لاحقاً، إن هذا الخطاب المنتشر يسوّق لثقافة الموت والآخرة ويستعجلها ولا يذكر نصيب الإنسان من الدنيا التي يسوّق لها على أنها زائلة، وهذا ما سيساء استخدامه لاحقاً من قبل الفاسدين الذين كان لسان حالهم :

«حسناً... دعوا الدنيا لنا ولكم الآخرة».

التبرعات

مما لا شك فيه أن باب الصدقة والزكاة باب عظيم في الإسلام وبه يُقضى على الفقر والحاجة، والمجتمع السعودي خيِّر بطبعه ومتعاطف مع قضايا الأمة، وقد جُيشت الأموال لمساعدة شتى البلدان الإسلامية وقت محنتها، إلا أن العمل الخيري عانى من مشكلتين: عدم تنظيم العمل الخيري وخلل الأولويات.

لقد كشفت أحداث سبتمبر فوضى عارمة في العمل الخيري وأموالاً مهدرة بلا حدود، استخدم بعضها في أعمالٍ إرهابية[1].

ومن خلل الأولويات -على سبيل المثال- الأموال التي كانت تجمع لبناء جوامع في بلاد ما وراء البحار! أو أن تقوم مؤسسة بتجهيز حقيبة تسمى «حقيبة العفة» التي تحوي

---

(١) الطريف أن بعض المثقفين يشك إلى الآن في أحداث سبتمبر، ويفترض فرضيات مؤامرة ضد اليهود! .

حجاباً وخماراً وقفازات سوداء، لتوزيعها في بلدان إسلامية محافظة بطبيعتها .

يقول المثل المصري: «اللي يعوزه البيت... يحرم على الجامع» أي أن ما يحتاجه بيتك وأسرتك يحرم على المسجد. وبالمنطق والعقل.. كيف ترسل الأموال لفقراء الخارج ويُحرم منها فقراء الداخل؟ كيف تبنى المساجد في الخارج ومساجد الطرقات السريعة في حالة يُرثى لها؟ أيهما أولى: بناء جامع في الخارج أم وضع أسرة فقيرة تحت سقف يقيها المطر في الداخل ؟

وهنا أتساءل أيضاً: المساجد التي بنيت على كامل مساحة الأرض ثم اكتشف لاحقاً أنها تستوعب أكثر من عدد مصلّي الحي بكثير، وتستهلك الكثير من الطاقة والإضاءة مما حذا بشركة الكهرباء التوصل إلى حل مشترك مع وزارة الشؤون الإسلامية، وذلك بفصل منتصف المسجد الأخير بفاصل زجاجي يحبس البرودة ويستوعب المصلين وبالتالي يوفر الأموال المهدورة، أتساءل: هل كان ممكناً بناء مكتبة صغيرة على مساحة المسجد لتكون، كما كان دور المسجد في الإسلام، منارة للعلم؟ يقول الدكتور مصطفى محمود ﷺ: «لن تكون متديناً إلا بالعلم... فإن الله لا يعبد بالجهل».

الفصل الثالث

عصر المحرمات

نحن والموسيقى

«في بلادي من يقول:
الكأس نصف فارغ..
ومن يقول: نصف ممتلىء
ومن يقول: ما هو الكأس؟
ومن يقول: لا يوجد كأس !
ومن يقول: الكأس حرام».
ياسر الشامي

كنت في السادسة، كان ذلك مطلع الثمانينيات،

المكان... أوبرا فيينا،

ربما طربت بعض الوقت، إلا أنني كنت كثير الحركة وأنا طفل، فأطلقت ساقي لأتنزه قليلاً. وجدت نفسي أمام لوحة مفاتيح بديعة لا زلت أذكرها إلى الآن، فهناك ذكريات تظل عالقة بأذهاننا مهما كبرنا. عموماً أبهرني منظر المفاتيح من أعلى السقف لأسفله.. فكان أن أدرت أحدها باتجاه الأسفل... فانطفأت إضاءة الأوبرا النمساوية !

القصة حقيقية، وتتذكرها أسرتي إلى الآن.

هرعت إلى مكاني خلسةً وجلست في حجر أمي وكأن شيئاً لم يكن. أحست أمي ـ مثل أي أم ـ بفعلة ابنها، وصمتت لكي لا يعلم أبي وقتها، وكذلك أحس السياح اليونانيون وأخذوا يتهامسون ويكتمون ضحكاتهم المشوبة بالدهشة .

الغريب أن العازفين ظلوا يعزفون دون انقطاع يذكر، وسط ظلام المسرح إلا من بعض أضواء الطوارىء !

كانت الموسيقى تحيط بنا وقتها في كل مكان ، في ردهة فندق البحر الأحمر، وصالة مطعم الدلفين ، ووقت صعود الركاب إلى الطائرات .

وجاء عام ١٤٠٠، وانتقلت الموسيقى لدينا إلى خانة الضرورات، وهي ثلاث :

موسيقى أخبار استقبال المليك للمواطنين الشهيرة من «السيمفونية الأربعين لموتزارت» والتي كانت والدتي الحبيبة تتابعها يوميّاً، والأناشيد الوطنية، والرسوم المتحركة التي كان على رأسها القط توم !

البعض يقول إن الموسيقى تطرب الأطفال، ويرى آخرون

أنها تهذب المشاعر وترتقي بها. وذات مرة أحب مدرّس علوم في بلد عربي أن يأخذ حصة الموسيقى من زميله استهتاراً بالمادة وظنّاً منه أنها تافهة.. فاعترض معلم الموسيقى وقال له: «عمرك شفت كمنجاتي (عازف كمان) إرهابي ؟!؟».

ولو استمعنا لصوت «السوبرانو: ديانا دامراو» عندما تتلاعب بطبقات صوتها صعوداً ونزولاً لقلنا : سبحان من أعطاها ذلك الصوت!

وعندما فشلت الديبلوماسية في التقارب بين العدوين اللدودين أمريكا وكوريا الشمالية عزفت فرقة «نيويورك فيلهارمونيك» ألحانها من أوبرا «بيونج يانج» في مشهد مؤثر ظهر جليّاً على وجوه الحاضرين.

وإلى أن تنتقل الموسيقى من خانة المحرمات إلى دورها في طابور الأشياء التي أعيد النظر فيها كالتصوير، الآثار ، وغيرها ... ستظل «فرقة عُمان أوركسترا سيمفوني» تعزف أجمل الألحان.

الأطباق اللاقطة

«أنت تجد في الشرق أحد اثنين.. تجد من يرفض العلم اكتفاءً بالدِّين والقرآن.. وتجد من يرفض الدين اكتفاءً بعبادة العلم المادي والوسائل المادية!

وكلا الاثنين سبب من أسباب النكبة الحضارية في المنطقة .. وكلاهما لم يفهم المعن الحقيقي للدين ولا المعنى الحقيقي للعلم».

د. مصطفى محمود

منذ ذلك الحين والأصل في كل شيء «التحريم»، ويغلب على كل أمرٍ من باب الحيطة «سد الذرائع» و«التشبه بالكفار» الذي يندرج تحته عدم شرب «البيرة» الخالية من الكحول وتجنب أكل الديك الرومي! إلى لبس البنطال. أرجو ألاّ أُتّهم بتضخيم الأمور والهجوم على فصيل معين، فالتاريخ والوقائع شاهد على ذلك. وعلى السعوديين تشييد متحف يضعون فيه أول تصريح لقيادة دراجة للسيد «علي المرداسي» أصدرته له الهيئة في حينها ..

متحف خاص يضعون فيه «تلفازاً» و«بوصلةً» و«مذياعاً» و«هاتفاً» و«هاتفاً محمولاً ذا كاميرا» وطاقية ذات «رفرف»، وهي قصة شهيرة وموثقة لأن فيها تشبّه بالكفار، والبنطال، والفتاوى موجودة إلى الآن! فكل ذلك كان من المحرمات والجديد لدينا لا بد وأن يمر بمراحل عدة: النكران، الغضب، المساومة، الاكتئاب، التقبل.

ولنأخذ على سبيل المثال موضوع الأطباق اللاقطة :
«لن نسمح لأحد بوضع هذا الجهاز اللعين في حيّنا»
«سوف نقنص كل جهاز بالبندقية».

حسناً، فقط القنوات الإخبارية والدينية. وإذا به في كل بيت وفي كل غرفة!

ما زلت أتذكر أقرباء لنا قالوا لوالدي أن عليه أن ينزل الطبق اللاقط من فوق منزلنا، وعندما أخبرهم أنه لجارنا المستأجر، طالبوه بعمل شيء ولو بطرده!

أعراس أم دروس ؟

لكل شيء وقته، والحبيب عليه الصلاة والسلام كان يقول: «إن القلوب إذا كلّت تعبت». إلا أن البعض لا يعرفون كيف تُنتقى الأوقات للوعظ والدروس، فتجد مثلاً من يستغل

مناسبة عرس وفرح لإلقاء خطبة مطولة، وغالباً ما يشملها الوعيد، تُذهب الفرح، أو أن تقوم سيدة غريبة بإلقاء خطبة وسط عزاء أُسرة مكلومة عن خطر الأطباق اللاقطة !

كلمات تستحق التأمل:
«أنا من جيل اللي كان يروح لغرف المدرسين الأجانب في مدارس الملك فيصل، ويشيل حرف «T» لأنه يشبه الصليب!»

@awalalnas

أزمة الخطاب الديني

ما أشرت إليه في مقال «شطر التديّن» من انحطاط الأخلاق مع التمسك ببعض المظاهر الدينية، يعود سببه إلى تجريد الفكر الإسلامي من الثقافة الصحيحة وانفصام الدعوة الحقة عن فقه الأولويات وفقه الواقع والمصالح، مع غياب القدوة المعاصرة ـ كما يرى د. أحمد كريمة أستاذ الشريعة بالأزهر الشريف.

في إحدى الأمسيات، ذكر لنا الأستاذ المربي عبد الله فراج الشريف أن العلماء المسلمين في التاريخ الإسلامي كانوا علماء علومٍ مختلفة ولم ينفردوا بالعلوم الشرعية فحسب، فقد كان الواحد منهم يجمع بين العلوم الشرعية والفلك أو الكيمياء مثلاً. وكانوا كثيري الترحال والسفر في طلب العلم في كل مكان، فنظروا إلى كل شيء من منظور آخر وشمولي، ناهيك أن الواحد منهم كان قوي الحجة والدليل، دون إقصاء أو تهميش الآخرين، فملأوا أماكنهم بعقولهم وملأوا الدنيا

نوراً ولم يكذبوا نظرياتٍ اتفق عليها كل البشر، مثل: كروية الأرض ورؤية الهلال وغيرها.

وقد تغيرت آراء مشايخ بعدما سافروا إلى الخارج، ونجد فرقاً في كتاباتهم اليوم عن كتاباتهم بالأمس حين كان الخطاب الديني عنيفاً وكانت الفتاوى متشنجة.

إذاً، ليست المسألة تلقي وتلقين، وليس بالضرورة أن يسير المرء في خريطة طريق روتينية تعليمية تنتهي به ليصبح محدثاً أو معلماً كنتيجة حتمية. نتاج طبيعي لذلك أن يكون المنتج الدعوي ركيكاً في صورة مطويات رخيصة الطباعة تحمل قصصاً غير واقعية لأناس يظنون ـ واهمين ـ أنهم ينصرون الدين[١]. مثل قصة «واقعية» عن رجل كان يسير بجانب قبر مغنٍّ أو فنان وإذ به يرى ثعباناً أو يسمع صراخاً من أهوال عذاب القبر ! أو عن سيدة منحرفة تعثرت في شريط دعوي فتابت فور ما سمعته؟!

وهذه التصرفات أضرت كثيراً بالدعوة في الخارج،

(١) من سمات تلك الحقبة اختفاء كثير من أحاديث التسامح من الإذاعة وأحاديث مثل قيام المصطفى لجنازة اليهودي وقال عليه الصلاة والسلام أوليست نفساً ، وظهور كلام لا أعرف سنده: أن المسلم إذا مر بجوار الكافر فعليه أن يضيّق عليه الطريق!؟.

خصوصاً لأنها لا تنطلي إلا على السذّج والعوامّ، لأنها لا تستند على أساس علمي ولا على حجة قوية إذ إن الجدال والسؤال يعتبر من المحرمات .

أتذكر أني دخلت مكتبة والدي ﷺ ولمحت كتاباً موجهاً من الراحل الكبير «غازي القصيبي» ﷺ وأسكنه فسيح جناته، بعنوان «حتى لا تكون فتنة».. وأتذكر جيداً أنني عندما قرأته بلا ميول لأي فصيل، وجدت في كلام القصيبي حجة وأدباً جماً خلاف من انتقدوه وقتها. رحمك الله يا غازي القصيبي فلم نستمتع بصوتك إلا بعد رحيلك.

«مع الأسف نحن نبني الكثير من الجدران والقليل من الجسور، فلنتوقف عن بناء الجدران ولنتجه لبناء الجسور».

إسحاق نيوتن

التصوير

«بعد أن أتلف الناس صورهم وذكرياتهم ،
أصبح رجال الدين هم من يتزاحمون على
التصوير في صفحات الجرائد والمجلات».
@AbuDalash

لماذا .. في مدينتنا؟

نعيشُ الحبَّ تهريباً .. وتزويرَا؟

ونسرقُ من شقوقِ الباب موعدَنا ..

ونستعْطي الرسائل ..

والمشاويرَا ..

لماذا في مدينتِنا؟

يَصدّونَ العواطفَ والعصافيرَا ...

لماذا نحنُ قصديرٌ ؟

وما يبقى من الإنسان ..

حين يصيرُ قِصديرَا ؟

لماذا نحن مزدوجونَ

إحساساً .. وتفكيرا ؟

لماذا نحن أرضيُّونَ ..

تَحْتِيّونَ ..

نخشى الشمسَ والنورا ؟

لماذا أهل بلدتنا ؟.

يمزّقهم تناقُضُهُمْ ..

ففي ساعاتِ يقظتِهِمْ

يسبّونَ الضفائرَ والتنانيرا ..

وحين الليلُ يطويهمْ

يضمّون التصاويرَا

نزار قباني

على أن أرسطو، وثيون الإسكندري، والكندي، والفيلسوف الصيني موزي، سبق لهم أن وصفوا الآثار المترتبة على مرور ضوء واحد عبر ثقب صغير، إلا أن أياً منهم لم يذكر أن هذا الضوء سيُظهر على الشاشة صورة كل شيء في الجانب الآخر من تلك البؤرة.

لاحقاً، شاع بين عامة الناس بالبصرة أن ثمة بيتاً مهجوراً تسكنه الجنّ، فاهتم «ابن الهيثم» بأمر هذه الدار، وهناك اكتشف أن ظل المشاة ينعكس من بين الأنقاض على جدران المنزل فيظن الناس أن حركة ظلالهم عبارة عن أشباح تسكن الدار، وحينها أثبت «ابن الهيثم» اكتشافه لنظرية الانعكاسات الضوئية، وأتمّ مع نظرية الغرفة المظلمة بأن نقل صورة من الخارج إلى شاشة داخلية كما في الكاميرا المظلمة التي اشتقّ الغرب اسمها من الكلمة العربية: «قُمرة»، عن طريق كلمة Camera Obscura اللاتينية، التي تعني «الغرفة المظلمة».

وقد قال مؤرخ الصور وليام فيسي: «وهكذا فإن الأوروبيين لم يخترعوا آلة التصوير في حد ذاتها؛ ولكنهم اكتشفوا المعالجات الكيميائية التي مكنتهم من تثبيت الصورة».

ويوثق الباحث منصور العساف قائلاً:

«ظلت معظم أرجاء الجزيرة العربية بمعزل عن الصورة الفوتوغرافية؛ لأسباب انعدام الأمن حينها -لا سيما في بعض الأقاليم-، أو لصعوبة الظروف المناخية والجغرافية لبلادنا وقسوتها- كما أوضح ذلك فيما بعد الجنرال شكسبير-، ناهيك عن الصراعات الإقليمية ونفور بعض الأهالي من الغرباء، وعدم السماح لغير المسلمين بدخول مكة المكرمة

والمدينة المنورة، إلاّ أن هذا لم يمنع بعض المستشرقين الذين لم تخل نواياهم من خدمة مشروعات حكوماتهم والذين قطعوا معظم أقاليم الجزيرة العربية .

ظهرت الصور الأولية مع الرحالة الغربيين القادمين للجزيرة العربية والتكية المصرية. وتذكر المراجع التاريخية أن أول صورة فوتوغرافية التُقطت داخل أراضي المملكة كانت عام (١٢٧٧هجرية)، وذلك عندما زار العقيد المصري «محمد صادق» المدينة المنورة لإجراء مسح عسكري لطريق الحاج بين مدينتي «الوجه» و«ينبع» ومنها إلى «المدينة المنورة».

ووُثقت لاحقاً زيارات الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن في الداخل والخارج عبر مصورين أجانب وأشقاء عرب كالريحاني وغيره. وظل أهل المدن الكبرى وغيرهم من الأسر الميسورة التي تعمل في شركات مثل «أرامكو» والخطوط السعودية في بداياتها، إلى عام ١٩٧٩م، يوثقون صورهم بكاميرات «بولورويد»،

ومع ظهور فتاوى تحرم تصوير ذوات الأرواح وتستثني الضرورات كصورة التابعية والجواز وغيرها[١]، أصبحت

(١) انظر: المجموعة الأولى، المجلد الأول (العقيدة ١)، العقائد، التصوير، شبهات حول تحريم التصوير الفوتوغرافي، الفتوى رقم ٤٥١٣.

المملكة بعد ذلك وكأنها مطار عسكري يمنع التصوير والإقتراب منه! ولا يسمح التصوير إلاّ بتصريح رسمي، وفي أماكن معلومة. وفي مرحلة ما، منعت الهواتف المحمولة ذات الكاميرا، بل وسمعنا عن تحريمها !

ولعشرين عاماً، ظلت الكاميرات حبيسة الأدراج، ومعها مواهب وطموحات أطفال مبدعين دهستها عجرفة الرأي الواحد، واختفت الصور من الإعلانات إلا من صور ليست بصور! حيث اشترط وضع «تغبيش» عليها أو قطع رأس الصور المرسومة! حتى زوار المسجد الحرام منعوا من ذلك، لذا فإنّ كثيرين إلى اليوم ـ لو نظرنا في الصحف ـ يظهرون في الصور وهم يحملقون بريبة! وهم أبعد ما يكونون عن «الأريحية»، ينتظرون انقضاء اللحظة وكأنها العقدة الأبدية.

وسوف يظهر شبابٌ وشابات كسروا الأصنام البالية ومزقوا قيد الوصاية الذي أدمى معاصمهم بمواهب متعددة وتعطش للتصوير، ليغزوا تطبيقات الهواتف الذكية مثل «Instagram» بصورهم الخلابة ذات الزوايا الإستثنائية والتعليقات الرومانسية عن الطبيعة والجمال، وستجدهم في كل مكان.. من حديقة «هايد بارك» في لندن، إلى جوار «قوس النصر» في باريس، وحتماً سيشاركون في مسابقات عالمية.

في سوق جدّة الدولي، سألت بائع كاميرات يعمل في مهنته هذه منذ عشرين عاماً، فقال: تزايد الإقبال على الكاميرات بشكل رهيب منذ عام ٢٠٠٩، خصوصاً الكبير منها !

فلم يكتف الشباب والشابات بكاميرات هواتفهم إنما أوغلوا في عالم «البيكسل» و «الريسلوشن».

واليوم تستطيع أن تلاحظ أن كثيراً من زوار المسجد الحرام والمسجد النبوي يحملون معهم الكاميرات وقت نزولهم للصلاة ويلتقطون ما طاب لهم من صور دونما مضايقة من أحد.

استكتبت رفيقة دربي، فكتبت:

طلب مني زوجي وصديقي الغالي أن أكتب شيئاً من الكلام عن حال السعوديين وتغيّر أوضاعهم الاجتماعية في خلال آخر عقدين من الزمان، ليضمه في كتابه المرتقب صدوره حديثاً: ماذا حدث للسعوديين؟.

حسناً .. لست خبيرة ولا أنا كاتبة .. لكن بعد تردد وإلحاح .. جاءتني خاطرة وأردت أن أوثقها بالكتابة قبل أن تطمرها مشاغل الحياة..

لنعد بخيالنا للماضي.. لتسعينيات القرن العشرين ..

كيف كان وضع الفن أو الرسم أو التصوير أو الموسيقى؟
محرّم .. غير مباح.. لا يجوز .. ممنوع ..

قد تبدو أحلام طالبة في المرحلة الابتدائية غير متوافقة مع أفكار وسياق هذا الكتاب .. ولكن كان في قلب هذه الفتاة الصغيرة نداء صغير .. يدعوها لتعلم الرسم والموسيقى .. ولكنها اصطدمت بجدار كبير اسمه «التشدد» .. ولم تستطع أن تحقق ما كانت تصبو إليه في قلبها الصغير ..

ومرت السنون وتغيرت الأمور وأصبح التصوير حلالاً .. والرسم والفن في كل مكان .. وافتتحت المعارض والمعاهد والكليات .. فكم من أحلام لم تر النور وسحقها الإنسان لأنه وُلد في الزمن الخطأ؟ أو المكان الخطأ؟

يا جيل تويتر وإنستجرام..
عيشوا ما لم نعشه نحن جيل التسعينيات..
استمتعوا بالإبداع والفن ..
استمتعوا بالحرية ..

«التصوير: هو استئذان لحظة أن تقف لثانية، لتدوم أبد الدهر».
@3dnanSalamah

تشكل هوية المواطن

انتشرت ظاهرة خطيرة في ما سمي بسنوات الصحوة، وهي ظاهرة توزيع المطويات، بل «فوضى توزيع المطويات» التي يحتوي كثير منها على الترهيب دون الترغيب والعذاب دون الرحمة. مثال لإحدى المطويات التي عادة ما تتميز بسوء إخراج وطباعة رخيصة ورسوم غريبة .. مطوية تتساءل: هل أنت من هؤلاء؟ وتحمل في الخلفية صوراً لسجائر وشيشة وورق كوتشينة وثوب قصير وصحن لاقط وكاميرا! أو مطوية أخرى تبين شكل لباس المرأة الصالحة ممثلاً في الخمار والقفازات إلخ، أو المرأة الفاسقة التي تلبس عباءة عادية وتكشف عن وجهها.

وتوجد أنواع من هذه المطويات حسب ما يراه الشخص الذي يطبعها من منكرات حسب وجهة نظره، ويُكتب خلفها عادة رقم هاتف مصحوباً بعبارات مثل : طُبعت على نفقة المغفور له فلان، أو: للطباعة اتصل بكذا وكذا..

والغريب أننا كمجتمع وكعقل جمعي كنا نصدق أي شيء نراه في هذه المطبوعات![١].

بل ونصنف فوراً من كان يحمل أحد هذه الصفات، وسوف يكرس هذا السلوك لتصنيف طبقي حسب الشيخ الذي يتبعه البعض والجامعة التي درس بها ومن يعرف من العلماء، وهكذا. وسنجد المواطن يرتاب فوراً عندما يرى مواطناً آخر في بلاد الخارج لكي لا يحكم عليه من مظهر زوجته إن كان يبدو مختلفاً عما هو المتعارف عليه في المجتمع، في حين يفرح الأتراك وغيرهم مثلاً برؤية بعضهم حول العالم، ولعل هذا أيضاً يفسر تطرف مشاعر المواطن المتحفظ في التعامل مع مواطنه الآخر الذي لا يلبث أن يتودّد بعبارات مثل: «هلا يالغالي، حبيبي» إذا ما تعرّف أكثر للطرف الآخر.

في السياق نفسه، تساءلت ذات مرة لماذا يتهرب بعض الجيران من بعضهم في مدن المملكة الكبرى؟ ولم أعثر إلا

---

(١) لديـنا مشكلة كبرى مع الكلام المنقول متمثلًا في ثقافة «أنشر تؤجر»! وهو أمر خطير قد يندرج تحت، ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ۞ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ فتقول للواحد مثلاً: ما هو دليلك على وجوب مقاطعة المقهى الفلاني؟ فيرد عليك إما بلفظ: من رجل ثقة، أو جاءني على الإيميل (الواتساب هذه الأيام) وحين تحاججه بأدلة وبراهين مثبتة ينكر ولا يستمع لك.

على إجابة واحدة: المواطنون بشكل عام «يجتهدون» لتفادي ملاحقة البلدية في مخالفات الإرتدادات وغيرها، واكتشفت مؤخراً أن سبب شح المياه في يوم قدوم المياه من شركة المياه «ثم يأتي عام يغاث الناس فيه.. » هو بسبب تركيب محرك شفط يسمى «الحرامي» يقوم بشفط المياه بسرعة فور وصولها، في سلوك ينم عن منتهى خلق الإيثار وحب الغير! فتخيل شخصية مواطن يعيش بشخصيتين وهارب من الإرتدادات ولديه «حرامي»! كيف ستكون؟

من جانب آخر ستدخل عادات غريبة على المجتمع من ثقافة الأعطيات والشرهات وتطبيق المنح على الحدائق (وسط صمت مطبق من البلديات) والمتاجرة بالتأشيرات[1] التي ستكرس لمناخ «العائد بلا جهد» لسنوات .

(١) تولدت قنبلة موقوتة بعد عقدين بسبب هذه الظاهرة، مما حذا بالجهات الرسمية إلى اتخاذ قرار سيادي بنزع فتيل الأزمة.

أزمة فكر (آيديولوجيا)

Are we alone ?

لطالما تساءل الأمريكيون منذ الخمسينيات.. هل نحن وحدنا في هذا الكون؟

ولم يخطر للأسف هذا السؤال ببال مجتمع بكامله لعقد وأكثر، فمن مفهوم المثاقفة التي تعني أن تأخذ مني .. وآخذ منك .. أن يأخذ كل شعب من الآخر أحسنه، وفي الحديث : الحكمة ضالة المؤمن .. أنىّ وجدها، فهو أحقّ بها .. وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ فنجد للأسف، من إذا قلت له: شاهدت كذا في البلد الفلاني! قفز عليك مهاجماً بردّين: إما أن يقول أن هذه بدعة، أو أن يقول غاضباً: لقد سبقناهم بذلك، وهي في ديننا منذ كذا وكذا!، وكأننا نعيش وحدنا في هذا الكون دون

حضاراتٍ أخرى سبقتنا وأمم قد خلت.

تأملت مقطعاً في «يوتيوب» وهو من إنتاج قناة «ديسكوفيري» يتغنى فيه رائدا فضاء بأنهما يحبان كوكب الأرض. وآخرون يعبّرون عن حبّهم للمحيطات وآخرون حضارة الفراعنة، وهكذا .. فتساءلت: أين نحن من هؤلاء؟ كم هو جميل أن تحب هذا الكوكب وما فيه، إن الله وضع الدنيا دار اختبارٍ ومزرعةً للآخرة، فهل يعقل أن يضع الخالق المبدع اختباراً دنيئاً، كما يقول لنا البعض ممَّن يصفونها بأقذع العبارات ؟

إن أزمة الفكر الإسلامي الراهن عند «البعض» ترفض أي علاقة بالفكر الغربي وما تركته لنا شعوب متلاحقة على مر العصور مطالبة بالاكتفاء بما جاء في كتبنا، وأدت هذه القطيعة المعرفية إلى عرقلة معرفية لدى شبابنا وبالتالي لدى المجتمع والأمة.

«لقد بدأت حركة النهضة الأوربية بحركة الإنسانيين .. وهي حركة أدبية فنية تهتم بالإنسان وتبحث في ممكناته»..

بطر الحق

قيل: ما الكبر ؟ قال: بطر الحق وغمط الناس.

كان لي صديق ممن مرّوا بمرحلة التزمّت، ولما عاد للوسطية اعترف لي أنه كان يعلم أن حديث تحريم المعازف ضعيف ! طالباً مني العفو .

وفي القرآن الحكيم: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾. كنت ـ ولا زلت ـ أتعجب من بعض المتشددين الذين يدّعون التديّن غلظتهم على إخوانهم المسلمين الذين يرونهم مقصرين خصوصاً لو اقترفوا ذنباً أو وقعوا في خطيئة، أو لو أمسكت بهم الهيئة مثلاً، فلا تأخذهم بهم رحمة، ويطالبون أن تنزل بهم أشد العقوبات، ولو أن حقوقهم انتهكت فيقال: هم يستحقون ما حدث لهم .. ما الذي دفعهم إلى ذلك العمل؟! أو: لماذا وضعوا أنفسهم في موضع شبهة، وهذا بعيد كلّ البعد عن السلوك المحمدي في العفو والصفح وعدم التشفي.

ثقافة السؤال

«الطيور التي تولد في قفص تعتقد
التحليق نوع من الأمراض»!
أليخاندرو

«تنظيف ما حول السجادة ثم وضعه تحتها .. لا يعني عدم وجود قاذورات».

في محاضرة للدكتور وليد فتيحي، طرح الدكتور علينا سؤالاً عن رأينا في جملة : «نحن أحق بالشك من إبراهيم؟»".

وسرعان ما أجاب أغلب الحاضرين بالإنكار على القول، الذي تبين أنه حديث شريف.

ثم أردف الدكتور متحدثاً عن خطورة قمع السؤال دون تروٍّ ولا تفحص، بل يجب الإجابة عن جميع تساؤلات الإنسان بأسلوب ومنهجٍ صحيحين من أهل الاختصاص.

تتساءل الأمم الكبيرة دائماً فتطرح سؤالاً كل يوم، وقمع السؤال سيؤدي إلى هشاشة دينية رهيبة عند كثيرين ستتفاقم في عصر وسائل التواصل، وسيقوم بالإجابة عنها للأسف كثير من المجهولين حول العالم من الملحدين وغيرهم، ممن سيتلقفون أبناءنا، وإنني لأجزم أن كثيراً من الآباء الذين نشأوا تحت تعليم مدارسنا لا يملكون هم أنفسهم الإجابات التي تدور في عقول أبنائهم.

الآن الآن، وليس غداً [1]

العام الفائت قال: إن العسل سائل سكري فقط ولا شفاء فيه، وزمزم ماءٌ ليس إلاّ!!.

التقيته لاحقًا فشكّك في الأحاديث (تَعَالَى ديننا عما يصف) ومؤخرًا طعن في الكتاب، والله المستعان.

قول هذا الرجل لا يقتصر عليه، فهناك العديد من أمثاله، والخشية من أن يكون هذا «رأس جبل الجليد» المختبئ تحت الماء.

جزء من المشكل، مرحلة نمر بها الآن وتمر بها الحضارات ويُطلق عليها «تعب الحضارة»، فبعد أن كان أبناء الأسبان يتفاخرون بتكلمهم العربية، أصبح حال العالم غير ذلك. نحن هذه الأيام حضارة تابعة، نأخذ من الغرب كل شيء، وكل ما يأتينا منه يخطف أبصارنا، صناعته، إعلامه،

---

(١) نشر في صحيفة المدينة، ٨/ ٩/ ٢٠١٣.

رواياته.. وحول شخصياته ننسج مثلنا العليا وخيالنا. وفي المقابل، يبدو الشرق غاية في التخلف وقمة في البؤس، ولا شعوريّاً أصبح من الطبيعي أن نتصور أن «كلّ» ما يأتينا من هناك هو الحق و«كلّ» ما سواه باطل.

وجزءٌ آخر من المشكلة أن جيلاً جديداً بات يبحث عن إجابات في أعماقه «راودته» منذ سنوات، فبحث فيها مع الأشخاص الخطأ وهو من قاعدة علمية هشة.

وبعيدًا عن المجادلين الذين لا يرجون معرفة الطريق الصحيح، وجلّ مرادهم إضلال العباد، فإن الله عزّ وجلّ أوجد السؤال لكي يكون الجواب شافيًا، فلكل صنعة صانع، والنسيج يدل على النسّاج، والرسم يدلّ على الرسّام، والنقش يدلّ على النقّاش، ولتفُكّرٌ ساعة في ملكوت الله، خير من قيام ليلة.

وقد لا يبدو خيار «الإيمان تسليم لا سؤال» متاحًا في هذه الحالة لإقناعهم، فالإجابة على أسئلتهم من المختصين.. واجبة، وقمع السؤال ممنوع.

الموضوع جدّ خطير، لا يحتمل التأخير.

قيل: لا تكتب، فالموضوع شائك، دعه للمختصين.

حسنٌ ولكن الوقت يمضي، التخندق أمامهم سهل ورميهم بالخروج من الملة أسهل، لكنهم أبناؤنا وبناتنا، والإجابة على تساؤلاتهم واجبة وبالتي هي أحسن، والعودة إلى الثقافة «قمع السؤال» ممنوعة. جنود دعوة الباطل في كلّ مكان، ويلبسون كل لباس، فيُلبِسون على ضعاف البنية الثقافية.. من ساحات التغريد، إلى باقي الوسائل.

أهل الحكمة والعلم: أناشدكم البدء في احتضان كلّ من له سؤال، الآن الآن، وليس غدًا.

منفِّرون أم مبشِّرون

من يتتبع سيرة المصطفى ﷺ يجده، كما وصفه الله في كتابه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وفي الآية ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾، ولا أعلم من أين أتى بعض من يدّعون التديّن والحرص على السُّنّة ببعض السلوكيات المنفرة: الغلظة، والشدة، فرصعة العينين، الإسقاطات القاسية على المسلمين كاستخدام آيات شديدة نزلت في مشركين في غزوة معينة أو في المنافقين! مثلاً: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾، أو ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾.

انتشر على شبكات التواصل مقطع لرجل ملتحٍ، يقتحم جلسة شبابٍ يغنون ويخطف آلة العود من أحد الجالسين ليحطمها أمام مرأى من الجميع، ثم يلوذ بالفرار، والعجيب أن البعض يرى في عمله هذا عملاً بطولياً!

إن المسلم بطبعه خطّاء تواب عائد، غير أن هنالك من

يطالبه بغير ذلك، ويريد أن يجعل من المجتمع مجتمعاً طوباوياً، وفي ذلك نزع لبشرية الناس.. وفي الحديث :

عَنْ حَنْظَلَةَ، قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، فَوَعَظَنَا فَذَكَّرَ النَّارَ. قَالَ : ثُمَّ جِئْتُ إِلَى الْبَيْتِ فَضَاحَكْتُ الصِّبْيَانَ وَلاعَبْتُ الْمَرْأَةَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ، فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا تَذْكُرُ، فَلَقِينَا رَسُولَ الله ﷺ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله، نَافَقَ حَنْظَلَةُ، فَقَالَ : مَهْ؟! فَحَدَّثْتُهُ بِالْحَدِيثِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا فَعَلَ. فَقَالَ يَا حَنْظَلَةُ: «سَاعَةً وَسَاعَةً، وَلَوْ كَانَتْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الملائِكَةُ حَتَّى تُسَلِّمَ عَلَيْكُمْ فِي الطُّرُقِ ».

مغلقو الرحمات...

هلا شققتم عن قلوبنا !؟

«الغريب في الأمر، أن الله يبحث
عن أي سبب ليغفر لنا ويرحمنا
بينما المتحدثين باسمه يبحثون
عن أي سبب ليكفرونا ويخرجوننا
من رحمته».

تركي الحمد

في الحديث: حدثني محمد بن رافع، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن جعفر الجزري عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم».

وقيل للحسن البصري ؒ: «ألا يستحي أحدنا من ربه، يستغفر من ذنوبه ثم يعود، ثم يستغفر ثم يعود؟! فقال

الحسن البصري: ودَّ الشيطان لو ظفر منكم بهذه، فلا تملّوا من الإستغفار».

وقصة أخرى ملهمة:

كان سهيل بن عمرو على سفر هو وزوجته .. وفي أثناء الطريق، اعترضهم قطاع الطرق وأخذوا كل ما معهم من مال وطعام.

وجلس اللصوص يأكلون ما حصلوا عليه من طعام وزاد.. فانتبه سهيل بن عمرو إلى أن قائد اللصوص لا يشاركهم الأكل، فسأله: لماذا لا تأكل معهم؟!

فقال له اللص: إني صائم ..

فدهش سهيل، فقال له: تسرق وتصوم!؟
فردّ عليه اللص: إني أترك باباً بيني وبين الله لعلي أن أدخل منه يوماً ما.

وبعدها بعام أو عامين .. رآه سهيل في الحج وقد أصبح زاهداً.. عابداً .. فنظر إليه وعرفه، فقال له:

أوعلمت من ترك بينه وبين الله باباً .. دخل منه يوماً ما.
مع عدم الإصرار على الذنب، فالمسلم توّاب أوّاب عائد

إلى ربّه، والربّ الكريم ربّ المسلم والكافر، وحين ينزل ربنا لسماء الدنيا فإنه يناجي عباده «جميعاً» ويسألهم: هل من سائل فأعطيه؟

ولو يؤاخذنا الله بذنوبنا لما ترك عليها من دابّة ! فما بال أقوامٍ يغلقون رحمة الله ويظنون أن الدين لهم والرحمة تشملهم وحدهم، ويحكمون على الناس من هيئتهم وينسون هدي المصطفى عليه الصلاة والسلام حين عاتب الصحابي الذي قتل رجلاً أسلم تحت نصل السيف، قائلاً : «أفلا شققت عن قلبه».

لقد نشأنا ونحن نظن أننا وحدنا على الملة الصحيحة وكلّ من هم سوانا غير ذلك. كنا نسمع طرفة تقول أن رجلين «ملتزمين» اجتمعا وبدءا يتساءلان: ما رأيك بالغرب؟ فيتفقان على تكفيره مع ذكر عيوبه.. وهكذا إلى أن تصغر الدائرة لقريتهم، فيكفّروا أهل القرية إلا أنفسهم، فما يلبث أن يقول أحدهم للآخر : وأنت أيضاً عقيدتك غير صحيحة!..

وأذكر أنني حين حضرت أول مرة خطبة الجمعة في بيروت فوجئت لما شاهدته من مشاهد.. فالإمام جميل الهيئة حسن المظهر.. ذقنه مشذبة ويلبس جُبةً أنيقة ويعتمر عمّة،

والمسجد يجمع الحليق والملتحي والشباب الذين يرتدي بعضهم سلسالاً! وفي مصيف مارينا على سواحل مصر يصلي الشباب ببنطلوناتٍ تحت الركبة بقليل[١].

وقد نشأ المجتمع على ثقافة الريبة والتدخل في نوايا الآخرين. ويذكر مثقف سعودي بارز أن رجلين قطعا ألفي كيلومتر إلى جدة من القصيم ليسألا في المساجد المجاورة عما إذا كان هذا الشخص يصلّي في المسجد أم لا !

وقد حدث أن هذا المثقف نفسه، أحب أن يستعين بشخص على قضاء حاجة مقابل أجر، فاستفتى الأجير شيخاً إن كان يجوز أخذ مال من «الحداثي» أم لا؟! والطريف أن الشيخ أفتى له بجواز ذلك قياساً على جواز المبايعة مع الكتابي !

وقد لحقنا جميعاً شيء من هذا الداء، فأصبح الإنسان وهو يقرأ رواية لأديب عربي يندهش إن أورد الكاتب آية أو حمداً لله مثلاً! ولسان حاله: ما شاء الله .. ظننتك غير ذلك!.

ومن هذه العباءة خرج علينا من يحرّمون الترحم على

---

(١) أذكر أننا كنا نصلّي في مسجدٍ بالطائف أواخر الثمانينيات في فترات العيد، ونحن نلبس بنطلونات وقمصان عادية، فكانت أعين بعض المصلّين تلتهمنا وخصوصاً الشباب منهم.

ستيف جوبز ونيلسون مانديلا وغيرهم، بل ويجزم البعض بدخولهم النار !

«خطيب الجمعة :
يوم القيامة سيحاسب المرء على أفعاله
لا على أفعال الآخرين ..
فابدأ بإصلاح نفسك أولاً يرعاك الله».

أي دينٍ تريدون!؟؟

سؤال غاضب يطرحه بعض الإخوة الغيورين، والحقيقة أن الدين ثابت لا يتغير، والمعجزة أنه صالح لكل زمان ومكان ولكل شعب! وصدّق أو لا تصدّق.. نحن لسنا وحدنا المسلمين، كما أوهمنا بعض المضللين، لقد بات الكثيرون في المجتمع اليوم يطمحون لتعددية حياتية في أُطر عامة يرتضيها الجميع. الحرية المطلقة غير موجودة حتى في الغرب. ذات مرة كانت أسرتي تجلس في حديقة في باريس، فقامت سيدة مصطافة بنزع ملابسها تماماً، فحضرت الشرطة وألقت القبض عليها وأبعدتها.

«ياناس، نحن بحاجة نتعلم الشعر والموسيقى والحب والاحترام والكلام الحلو والفلسفة.
نحن بحاجة إلى الروحانية الدينية ...
وبحاجة حبّ الرسول حبّ حقيقي».

@MohammdaLahamdl"

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعنى الشمولي

«نحن مجتمع غلظة وفظاظة إلاّ من رحم الله.
فبعض المشايخ وطلبة العلم ـ وأنا منهم ـ
جفاة في الخُلُق، وتصحُّر في النفوس، حتى إن
بعض العلماء إذا سألته اكفهرَّ وعبس وبسر».

الشيخ عائض القرني

إذا عدنا لنشأة نظام الحسبة، فإنه ربما يعود لعهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذ ذكر ابن عبد البر أن سمراء بنت نهيك الأسدية رضي الله عنها «أدركت رسول الله ﷺ وعُمِّرَت، وكانت تمرُّ في الأسواق، وتأمرُ بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتضرب الناس على ذلك بسوط كان معها»، بل الأعجب أن عمر ابن الخطاب أبقاها محتسبة على السوق، وهذا ما يؤكده ابن الجوزي.

في فترة ما بين الثمانينيات وما بعد أحداث سبتمبر، تنامت قوة جهاز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسط حماية من الدولة في ذلك الحين، وذلك بعدم السماح بنقد جهاز الهيئة إعلامياً أي أنه دخل داخل الخط الأحمر. وكطفل، أتذكر مناظراً حدثت أمامي من رجال الهيئة أمام متجر «سيفوي» حين قاموا بالإمساك بشاب طويل الشعر وقصّوا شعره بالقوة على مرأى من المارة بعدما نعتوه بلفظة «عدو الله» [1].

وستزداد قوة الجهاز، الذي قام بأعمال جيدة: كشف أوكار دعارة ومصانع خمور لكنه تتبع عورات الناس أحياناً وقام بمطاردات بالسيارات واستخدم رجاله الضرب للإستجواب، كما أنهم اقتحموا محلات الورود في عيد الحب، وغيرها من الممارسات. وقد طرح كثير من المثقفين أسئلة عن مدى صلاحية الهيئة وعن تنظيمها الوظيفي وسط تجاهل تام من الجهات المختصة.

تفاوتت قوة الهيئة حسب المدينة، فمن المعروف أن الهيئة أقوى في الرياض مما هي في جدة.

(١) من الملاحظ أن جيل الشباب الذين عانوا من هذه التصرفات، قاموا بترك شعور أطفالهم اليوم، وهو منظر لطيف لأحباب الرحمن.

كانت والدتي تمارس هواية كنت أنتقدها في ذلك الوقت، إذ كانت تنصح الفتيات في الأعراس بطريقة والدية إذا ما لاحظت عليهن ارتداء ملابس فاضحة مثلاً، وكان والدي رحمه الله يغضب كثيراً إذا ما شاهد «مواطناً صالحاً» يرمي مخلفاتٍ من سيارته بل ويتحدث إليه أثناء الوقوف في الإشارة مثلاً، وهذا هو الدور الذي يجب أن يمارسه المجتمع لنكون خير أمة.

لعل هذا المعنى الشمولي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون الأقرب لتعاليم الدين، في المقابل .. إن المطالبة بإلغاء جهاز الهيئة تماماً ربما تجانب الصواب، ولعل أسلم شيء هو استحداث شرطة «آداب» لمكافحة أوكار الخمور والدعارة إن وجدت، وتكون محددة الصلاحيات وذات أنظمة معلنة.

لا أعلم حقيقة كيف توضع الضوابط العامة في المجتمع، ربما يجب أن تحددها الدولة أو المجتمع، لأن ترك الأمر دون أطر محددة سيدهشنا بما سيفعله الشباب والفتيات، وأعيب على أناس في مجتمعنا أنهم لا يعطون الشيء حقّه، فلكلّ مقام مقال، فتجد شباباً يتسكعون في أماكن تؤمها أسر محترمة ويتلفظون بألفاظ نابية، أو فتيات يلبسن ملابس لا تليق إلا بفتيات الليل حين يركبن الطائرات. أذكر ذات مرة أنني

جلست مع أسرتي في مطعم للغداء بجوار فتيات يلبسن معاطف طبيبات يتزيّنّ بمساحيق كثيرة، وتعلو ضحكاتهن دون مراعاة للآداب العامة، بل إن واحدة منهن أخرجت مرآة «لتنتف» حواجبها أمام الملأ، ولا أريد ـ تأدباً ـ وصف طريقة جلوسها. والغريب، على الطاولة المجاورة جلست سيدتان أوروبيتان ترتديان العباءة بكل احترام وتقدير لتقاليد البلاد التي تزورانها.

«لا يُصلحُ الناسُ فوضىً لا سراةَ لهمْ
ولا سِـراةَ لهمْ إذا جُـهّالُهُمْ سـادُوا»

أبو الأسود الدؤلي

بالتوفيق..
رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

خالد عبد الرحيم المعينا[1]

«حتى آخر لحظة في حياتك، ينبغي أن تجد الرغبة في العمل، حتى لو كنت لن تحصد الثمرة، زرع آخرون فحصدت، وعليك أن تزرع ليحصد غيرك».

سلمان العودة

دعا الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الشيخ عبد العزيز الحمين، رجال الهيئة العاملين في الميدان إلى استصحاب النية الصالحة، والحرص على مصلحة الوطن، والعناية بهموم المواطنين، وما يحبب الخير لهم. وتطلع الحمين، خلال لقائه في مقر رئاسة الهيئة في الرياض أخيراً

(١) نقلًا عن صحيفة «الإقتصادية» العدد ٦٤٠٤، ٢٠/ ٥/ ١٤٣٢هـ الموافق ٢٤/ ٤/ ٢٠١١. والمقال يتناول حادثة حقيقية وقعت للمؤلف.

عدداً من مسؤولي الهيئة الميدانيين في منطقة الرياض، إلى المزيد من العناية باحتواء الوقائع، والمعالجة بالحكمة الشرعية لتحقيق التأثير الإيجابي في المخالفين، وأن تؤدي الهيئة دورها بالأسلوب الأمثل.

كل هذا حسن، ويبدو كلاماً جميلاً على الورق، لكن تطبيقه على أرض الواقع ليس أمراً سهلاً ويحتاج إلى جهود حثيثة وعمل شاق يتضمن تدريب العاملين في الهيئة على فنون وأساليب التعامل مع الناس وتنمية مهاراتهم السلوكية حتى يتمكنوا من تحقيق ما يصبو إليه الحمين.

وسمعت، قبل أيام، أن رئاسة الهيئة تنوي إطلاق حملة علاقات عامة لتحسين صورتها وسط المواطنين. وباعتبار أنني كنت الرئيس المدير التنفيذي لأول شركة علاقات عامة في السعودية عام ١٩٩٤م تخصصت في إدارة الانطباعات، واحتواء الأضرار وإدارة الكوارث، فقد تأكد لي تماماً أن المنتج أو القضية إن لم تكن في الأساس جيدة فلن تنفع معها كل محاولات التجميل.

والقصة التالية على لسان أحد الطيارين خير شاهد على ما أقول. وإليكم القصة كما رواها صاحبها:

«أديت صلاة المغرب والعشاء جمع تقديم لظروف سفري الدائم كطيار، ثم اتجهت إلى مقهى «جافا» في شارع الأمير محمد بن عبد العزيز في الرياض، وأثناء جلوسي في الجلسات الخارجية وحدي أتصفح الصحيفة، تقدم مني شاب ملتحٍ طالباً مني هويتي، رافضاً إبداء أي سبب ورافضاً تعريف نفسه، ثم قال: كلِّم الشيخ. الذي أقبل بدوره مع رجلٍ ثالث.

قال الشيخ: هويتك.

وعند سؤالي لهم عن السبب صاح بي أحدهم: احترم نفسك مع الشيخ ..

وتابع الشيخ قائلاً: نحن نمثل الدولة وهذه هويتنا تحمل شعار السيفين والنخلة، هل تراه؟ أنت في مكان مشبوه! ومن حقنا التثبت من هويتك لوجود مشبوهين هنا!

قلت : شارع الأمير محمد بن عبد العزيز بالرياض أصبح مكاناً مشبوهاً؟ ربما يجب أن نبلغ الأمير سلمان بذلك!

قال: أين هويتك أقول لك؟!

قلت: في السيارة.

وقام الشيخ بأخذ هاتفي المحمول مساوماً بالهوية التي

كانت موجودة في السيارة (حاول البحث في محتويات الهاتف غير أنني رفضت) رافضين في الوقت نفسه ذهابي لجلبها ومدعين وجودي في «مكان مشبوه» ووجود مطلوبين أمنياً في المكان نفسه.

قمت بعرض هوية العمل التي لا أستطيع الطيران من غيرها، فأخذها الشيخ حتى أعطيه الهوية الوطنية، ما دعاني لتركها ورفضي الذهاب إلى القسم[1].

المحزن أن الشرطة رفضت مساعدتي عند طلب المساعدة منهم. لم يسبق أن خاطبني أحد بتلك اللهجة المتعالية التي لا تخلو من الازدراء، دون إبداء أي سبب أو سؤالي: هل صليت أم لا؟ أخيراً غادرت على مشهد من مدير مطعم «لبناني» اقتيد كالشاة ليوضع في شنطة الجيب».

انتهت رواية الطيار.

وشخصياً عانت إحدى بناتي من حالة اكتئاب ألّمت بها

---

(١) من المواقف الطريفة التي حصلت، أن مقيمًا لبنانياً اتصل بأحد أقربائنا طالباً منه النجدة من قسم الهيئة، ولما حضر قريبنا للتوقيع على المحضر حاول لفت نظر الشيخ لاسم المقيم، فلم يفهم الرجل ماذا يقصد، فقال له: يا شيخ اسمه «طوني سماحه» يعني مسيحي !، فرد الشيخ: آاه ياالملعون وتصلّي معنا بعد! فرد اللبناني: شو بدي أعملك يا شيخنا وانتي واقف فوق راسي بالعصا ! .

لعدة أيام عندما شاهدت رجال الهيئة يضربون رجلاً لأنه لم يذهب إلى صلاة الظهر في المسجد. ويمكن أن أسرد قصصاً كثيرة على هذه الشاكلة، فقد شاهدت بأم عيني عدداً منها خلال السنوات القليلة الماضية وكلها قصص مأساوية.

وعلى أية حال، فإنني لست في موقف الناقد للهيئة بقدر ما أود أن أتقدم لها بعدد من الاقتراحات علها تساعد على تحسين صورتها وتجعلها تحظى بالقبول عند الناس. وبداية أؤكد أنني أتفق مع الشيخ عبد العزيز الحمين على مرئياته، وأتمنى له النجاح في مساعيه الرامية إلى تطوير عمل الهيئة وإكسابها على الأقل تفهم الناس، إن لم نقل حبهم واحترامهم.

وأول هذه المقترحات، هو أن يدرك أعضاء الهيئة أننا الآن في القرن الحادي والعشرين، وبالتالي فإن الأساليب والممارسات التي كانت مقبولة في القرون السابقة لم تعد مقبولة الآن. وأن هذا الوقت هو زمن احترام حقوق الإنسان، وكرامته، كما هو أيضاً زمن التسامح، وقبول الآخر واحترام آدميته.

ونحن عموماً لا نحب أن يصيح أحد في وجوهنا ولا أن يتهمنا بسوء السلوك وخرق القوانين جزافاً بلا دليل وإثبات، كما أننا لا نحتمل أن يفرض علينا أي أحد أفكاره

ومرئياته، كما أننا نحترم الحساسيات الثقافية لهذا البلد سواء أكنا سعوديين أم أجانب.

وحتى في المملكة العربية السعودية التي من المفترض أن يكون فيها اتفاق تام على الرؤى والمبادئ، لنا خلافاتنا ووجهات نظرنا المختلفة، وبيننا من لا يحب أبداً أن يكشف اسم أمه أو يسأله أحد عنها رغم ما للأم من قداسة وتكريم.

وأذكر تماماً أن غالبية العائلات، كأي عائلات أخرى في المنطقة، كانت ولا تزال مترابطة يحرص أفرادها على تقوية الأواصر بينهم. وقد نشأت في عائلة ممتدة وسط الإخوان والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات، وأبنائهم وبناتهم، وستبقى تلك الأيام محفورة في ذاكرة كل من قضى طفولته في جدة ومكة. أما الآن فإنني أخاف إن تجرأت على توصيل ابنة خالة والدي التي تجاوزت السبعين عاماً في سيارتي أن أتهم «بالخلوة.!!!»

هذه، إذن، من الموضوعات التي يجب أن تنظر فيها الهيئة ما دامت تعتزم تطوير أعمالها، وأن تعلم أن الوحدة تأتي من خلال التنوع. ولقد تعلمت أن أحترم المرأة وأن أنظر إليها على قدم المساواة، فهل يجعلني هذا أقل إسلاماً من الآخرين؟

لقد سافرت في كل العالم الإسلامي تقريباً، وأدهشتني الاختلافات الثقافية والاجتماعية الكثيرة، لكن رغم كل هذا التباين تبقى المرتكزات والقواعد الإسلامية هي ذاتها في كل مكان. وهذا هو الشيء الثاني الذي يجب أن يتعلمه رجال الحسبة.

إن غالبية النساء في العالم الإسلامي لا يغطين وجوههنّ، فمن نحن حتى نلزمهنّ بذلك؟ على هذا، فمن المهم أن يركز أعضاء الهيئة على الأمور ذات الأهمية للمجتمع وأن يساعدوا المحتاج، ويغيثوا الملهوف، ويتنادوا لإنقاذ المكروبين، خاصة إبان الكوارث والمحن الطبيعية، وأن تكون أيديهم ممدودة دائماً لمساعدة الشباب بدل تنفيرهم وتعميق العداوات معهم.

ولعمل هذا كله، يجب أن تكون للهيئة عقلية جديدة ملؤها الحب، والعاطفة، والتسامح، وحسن النية والمعارف والمهارات التي تمكن أعضاءها من التعامل مع التغييرات المتسارعة في العالم. خاصة مع هذا الجيل الجديد من الشباب الذي يختلف تماماً عن جيلنا.

مع أمنياتي بالنجاح والتوفيق للشيخ عبد العزيز الحمين ..

There isn't much diversity in the community

كنت أتحدث مع صديق نيجيري مثقف، قال لي: المشكلة في المجتمع لديكم There isn't much diversity in the community : أي لا يوجد تعددية في النشاطات التي يمكن عملها هنا، فإلى وقت ليس ببعيد لم يكن هناك مكتبات أو متنزهات أو أماكن يرتادها الشباب، ولا معارض فنون جميلة، ولا مساحات للهوايات، ولا يمكن للسيدات دخول نوادٍ رياضية حتى فتكت بهنّ السمنة وانتشرت بينهن أمراض السكري وسرطان الثدي، بل وكان العمل محظوراً عليهنّ بشكل كبير بحجة الإختلاط!؟

طبعاً لا نلوم التشدد الديني فقط في قلة الخيارات، بل إن لفشل التنمية دوراً رئيساً في عدم توافر ذلك. تخيل معي عزيزي القارىء أن لدينا مرفأً نرتاده لنحتسي القهوة صباحاً بجانب السفن حيث تحلق فوقنا طيور النورس؟! وربما كان

بجانبه جسر يصطاد منه الآباء وأبناؤهم السمك؟! ما المانع أن يكون لدينا شواطىء للمحجبات ؟!

في الساحل الشمالي بمصر توجد شواطىء خاصة بالمحجبات. وصدّق أو لا تصدّق، أن فتيات مسيحيات يزرنها أيضاً لأنهن يبحثن عن الخصوصية.

من الذي سرق منا العيد ؟

«الجسـم في بلدٍ والروح في بـلـدِ ...
يا وحشة الروح بل يا غربة الجسدِ »
ابن عبد ربه

في التراث الأمريكي قصة أطفال اسمها «How the Grinch Stole Christmas» بطلها شخصية تدعى «Grinch» يكره الأعياد والمناسبات السعيدة ويحاربها !، ويقوم بسرقة هدايا الأطفال الصغار من المنازل خلسة!

لا شك أن مجتمعنا عانى الأمرّين من بشر بمثل هذه الشخصية، عملوا على الضغط بناحيتين: سدّ الذرائع واتقاء الشبهات، أغلقوا المنافذ على العباد وضيّقوا عليهم فحرّموا الأغاني المباحة في ليالي الزفاف والأفراح. ومن باب سد الذرائع. أصبحت الزينات تشبهاً بالكفار وأعيادهم. وإذا ضحك المرء قالوا: كثرة الضحك تميت القلب. وفي المدارس

كانوا يمنعون التصفيق بحجة أنه ورد في إحدى آيات القرآن الكريم: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ وتم استبدالها بالطرق على الطاولات !

أذكر موقفين حدثا منذ سنوات، الأول: كان زفاف ابنة خالتي في مكة والحضور من الرجال، وكان أن أحيت فرقة شعبية مكية شيئاً من الفرح بالدفوف فقط، وذلك بعد عقد القران كما جرت العادة لدى أهل مكة. ولا زلت أذكر وجه إمام المسجد المجاور الذي صدّره أهل العروس المجلس احتفاءً به .. كان عابساً طوال الوقت ولم يشارك في الاحتفال، وهي حرية شخصية له، إلا أن تكرار هذا المشهد في أكثر من مناسبة حيث يقوم بعض الحضور ممن يظهرون التديّن بالجلوس في سياراتهم إلى انتهاء الحفل وبدء العشاء فيرجعون !.

حضرت ذات مرة زفافاً لأحد الأصدقاء ممن ارتبطوا بأسرة لبنانية، كانت الأسرة اللبنانية من الرجال يرقصون الدبكة ويغنون بسعادة غامرة بينما يقابلهم الجانب السعودي بخجل رهيب وتحفظ !

والموقف الثاني : وصلنا بحجاج بيت الله الحرام إلى

مدينة «سورابايا» بإندونيسيا وإذا بذويهم ممن ينتظرونهم في المطار[١] قد جاءوا بالورود والرّايات ليهنئوهم على إتمام فريضة الحج، تلك الشعيرة العظيمة، ونزل الحجيج في مشهد مهيب وسجدوا على أرض المطار واختلطت مشاعر الفرح والدموع، فقلت: «كم هو جميل ما يفعلون».

فرد علي زميل ملتحٍ بأسف : «الله يعلم هل تُقُبلت الحجة منهم أم لا» .

وقد كتب الشيخ عائض القرني مقالاً بتاريخ ٢ يونيو ٢٠٠٩ قبيل نزول نشيد لا آله إلا الله وردت فيه السطور الآتية:

«إن الرسول عليه الصلاة والسلام استمع للحبشة وهم يرقصون في مسجده بالحراب وعائشة أم المؤمنين تنظر إليهم، ولما أنكر عمر المشهد قال لهﷺ : «دعهم يا عمر لتعلم يهود أن في ديننا فسحة». رواه البخاري. وكان ﷺ في سفر مع أصحابه، فقام رجل اسمه أنجشة فغنّى بصوته ، فلما سمعت الإبل الغناء أخذت تسرع طرباً والنساء على ظهور الإبل، فخشي أن يسقطن من على ظهور الإبل، وقيل خشي

(١) جرت العادة في كثير من البلدان كلبنان مثلًا أن يستقبل ذوو المعتمرين والحجاج العائدين برمي الأرز الأبيض عليهم واستقبالهم بالطبل والهتاف.

على قلوبهنّ، فقال: رفقاً بالقوارير يا أنشجة» أي بالنساء[١] .

نتـاج ذلك.. تجـده في حجـوزات الطـائرات والفنـادق للخارج وقت الأعياد والمناسبات، تجده في اصطفاف سيارات مواطنينا على حدود جيراننا من دول الخليج، وأرجوك أن لا تقول لي إن أسرنا تذهب هناك من أجل المحرمات فكل أمة فيها الصالح والطالح، وكلنا نرى بعضنا في «مولات» دبي وشوارع كوالا لامبور بأسرنا وأطفالنا. حتى المتقاعدين أصبحوا ينزحون إلى القاهرة وبيروت وغيرها من المدن التي توفر لهم مناخاً أفضل.

عبثاً تحاول هيئة السياحة ثني الناس عن السفر، وإحصاءات سفر المواطنين للخارج مخيفة ! وهذا بعضها.. إذ وصلت أعداد المركبات العابرة لجسر البحرين في ليلة من ليالي عيد ٢٠١٠ الى ٥٠ ألف مركبة! وأنفق السعوديون في الخارج في تلك الفترة ما يفوق الخمسة مليارات ريال !

---

(١) كتبت يومها بريداً الكترونيّاً بخطّ أحمر وأنا يعتصرني الألم، وبعثتُ به لكل المشككين و«المرجفين»، قلت فيه: رحمك الله يا أبي، قلتها منذ ثمانية عشر عاماً مستشهداً بنفس الأحاديث (ضعّفها البعض حينها)، وكنت تسبح عكس التيار. نحن مدينون باعتذار لكل من حاولوا قول شيء لنا وتنويرنا من مثقفين وأدباء فلم نشكرهم ونكرمهم، بل خوّلناهم وطعنّا في عقيدتهم وبعثنا جواسيس للمساجد للتأكد من ارتيادهم لها !؟ ويحنا.

لأننا، ياسادة، نهرب من النظرات القاسية، واللمزات الخفية، ونزحف شرقاً وغرباً لنستنشق هواء الحرية «المباحة». لذلك وفي ظاهرة غريبة يرتبك المواطن حين يشاهد الآخر في أي بلد في الخارج فيرتبك الإثنان ! ويدعيان أنهما لما يرَ بعضهم بعضاً! ويطلب كلٌّ من «أهله» إسراع الخطى، أو تراه يتمتم بشيء ليس له علاقة بالموقف!، والعجيب الذي لم أجد له سبباً، اللهمَّ سوى أنه اضطراب في السلوك وتناقض غريب، هو عندما يلتقي صديقان مقربان برفقة زوجتيهما، فتجدهما إن لم يتجاهلا بعضهما.. يحاولان إنهاء الموقف المحرج بأسرع ما يمكن وبأخف الأضرار . سلوك يذكرني بقول القائل :

ورغم أننا نسافر لجل نلقى بعض .. ونعرف بعض
إلا أننا لما انتقابل نلتفت متجهمين !

على أية حال، فإن قصة «Grinch» تنتهي بأن يعطف على الأطفال ويحزن على دموعهم ويقرر إرجاع الهدايا لهم، فإذا بالمجتمع يفتح له ذراعيه ويحتضنه ويدمجه .. فهل يعيدون لنا أعيادنا ؟

الوطن.. للخلف در

«يوماً ما سنذهب للقمر ...
ثم سنختلف على اتجاه القبلة!»
همام قاضي

كان هناك مقطع كرتوني في المسلسل الأمريكي الشهير «ذا سيمبسونز» يقول فيه المهرج «كرستي»: لقد انتصرنا نحن الأمريكيين في الحرب العالمية الثانية، ثم أرسلنا رجلاً للقمر .. ثم .. ثم لم يحدث شيء بعد ذلك .

أعجب ممن ينتقد، بنظرة قاصرة قطاعاً معيناً ولا يدرك أمراً واضحاً للعيان، لقد تراجعت المنظومة كلها في سنوات العتمة، مع انخفاض أسعار النفط الذي يشكل معظم دخلنا. ضعفت الميزانيات وتوقفت البعثات، وجاءت حرب الخليج لتشكل عبئاً إضافياً على الدولة، ثم جاء الإنفجار السكاني ما بعد حرب الخليج، لم نفلح أن نكمل مسيرة الجيل الذي نشأ

في السبعينيات وزملائهم من الإخوة الأجانب - كما نحب أن نسميهم- ففشلت التنمية، وتراجعت الرياضة، ولم تتم العناية بالبنى التحتية، وخلت مدننا، ليس من الحدائق الغناء فحسب، بل حتى من شجر النيم الذي لا يتطلب أي عناية. تصحرت المدن .. وتصحرت نفوس السعوديين.

أمضيت عمري والصحراء قاحلةٌ
وليس في أفقها مزنٌ ولا مطرُ

ولا ربيع تتوق النفس مطلعهُ
وفيه يحلو للحن المدنف السهرُ

أمضيت عمري والصحراء ليس بها
إلا الأنين وإلا الهمّ والضجرُ

الليلُ يجثم كالجلمود محتلكاً
وليس يضحك في آفاقه القمرُ

والليل ما فيه إلا رجعُ عاصفةٍ
والليلُ ما فيه لا لحنٌ ولا وترُ

ما زلت بعد سنين العمر ضائعةً
للوعد في غيهب المجهول أنتظرُ

ما عدت أسأل و الصحراء قاحلةٌ

أين الربيـعُ وأين المطلعُ النضـرُ

فكيف تنمو على الصحراء زنبقـةٌ

وكيـف يخفق في أجفانها وطـرُ

أسامة عبد الرحمن
شاعر ومفكر سعودي،
رفيق درب غازي القصيبي

الفصل الرابع

تبعات الحادي عشر

وصول طائرة سبتمبر

ومن يجعل الضرغامَ بازاً لصيده

تصيده الضــرغـامُ فيما تصيـده

المتنبي

في سؤال لأحد المشايخ في أحد البرامج التلفزيونية، سأل أحدهم: هل يأتي التغيير من الداخل أم من الخارج؟ والحقيقة أن السؤال كان أهم من الإجابة المراوغة وغير الواضحة، وكانت الأيام كفيلة بالرد على السؤال الكبير.

استيقظت ككثير من البشر في يوم عادي جداً، حتى أطل علينا خبرٌ انتشر تدريجياً على جميع القنوات لبرج يحترق جزئياً مذيلاً بتعليق عن اصطدام طائرة به، وكطيار تساءلت: كيف لطائرة أن تصطدم ببرج ضخم في نهار خالٍ من السحب وواضح الرؤية؟

ثم لم تلبث الطائرة الأخرى أن ارتطمت أيضاً بالبرج الآخر وسط تسمّر كوكب الأرض أمام الشاشات. وكنت أتنقل بين القنوات مذهولاً وباحثاً عن توضيح أفضل لما يجري، وكانت كلها تنقل الخبر، عدا قناة واحدة خلت من أي خبر، بطبيعة الحال كانت قناتنا الأولى، التي كانت تبث برنامجاً من برامج الأطفال «الساذجة» التي اشتهرت بها، وفي ذلك إشارة رمزية لحال إعلامنا في حينها لما كان عليه من الركاكة والنكران والتضليل !

أخبار من هنا ومن هناك، معلومات عن إخلاء مبنى «الكابيتول» وقنوات تزعم تفجيره بسيارة مفخخة. فوضى إخبارية وفوضى تصريحات. هناك من يقول إن «مارينز» خطفوا طائرة «بنسيلفينيا». والرئيس مبارك يقول إنه كطيار يعرف أنه من المستحيل أن يقوم شبان بعمل كهذا، ثم تسحب الخارجية تصريحه. التلفزيون الإسرائيلي يعرض صوراً لفلسطينيين وهم يحتفلون ويرقصون زعماً أنه بسبب أحداث البرجين، ثم يتبين أن الصور قديمة.

الحادي عشر من سبتمبر تاريخ كبير، سقط فيه برجان ليحدثا زلزالاً كبيراً وصلت توابعه إلى الشرق الأوسط والعالم أجمع لتتغير أمورٌ لم تكن بالحسبان.

كان على السعوديين، بمجرد حدوث الإنفجار، أن يخرجوا عن صمتهم ويقولوا للأمريكيين: «يا إلهي .. كيف يمكن أن يتورط خمسة عشر شخصاً من أبنائنا؟ نحن في غاية الأسف وننوي أن ننظر في ذاتنا وتاريخنا وفي عائلاتنا لمعرفة لماذا حدث ذلك»[١] .

تبعات الحادي عشر After math

لملمت أمريكا نفسها وطببت جراحها، والتأم الكونجرس، وتفجرت كلمات الغضب في كلمات النواب: طالب بعضهم بقطع العلاقات مع المملكة والبعض الآخر طالب بضرب بيت الله الحرام كردّ على ما حدث. وانفجرت أجهزة الإعلام الأمريكية وفي مقدمتها «فوكس» لتفتح خزانة العم سام ملفاتٍ لطالما عرفها وغضّ البصر عنها، في مقدمتها مناهج المملكة. وتم الإستشهاد مثلاً بقضية الولاء والبراء: «يتعيّن على المسلمين أن يوالي بعضهم بعضاً وأن يعتبروا الكفار أعداءهم»، وظهرت مقاطع لخطب جمعة تدعو بالنص على الكفّار مصحوبة بترجمة في الأسفل: «اللّهمّ عليك باليهود والنصارى، اللّهمّ أشبع الطير من رؤوسهم»، ويلي ذلك تعليق المذيع الأمريكي: «حتماً أن الإسلام ليس دين سلام».

(١) اقتباس عن توماس فريدمان- القدس العربي ١٨ ديسمبر ٢٠٠١.

ورُفعت قضايا ضد أشخاص سعوديين لدعمهم بعض المؤسسات الخيرية من قبل أهالي الضحايا، وعبثاً حاولت الديبلوماسية رأب الصدع.

ولسنوات، ظلت الولايات المتحدة التي غزت أفغانستان والعراق تضغط لتغيير المناهج وتطوير الخطاب الديني، بل وقامت بتسهيل فتح قنوات تبث أفلاماً أمريكية حديثة مجاناً جنباً إلى جنب مع قناة «الحرة» وإذاعة سوا التي تبث لأكثر من بلد عربي(١).

«لا شيء يؤلم أكثر من سقوط قناع،
ظنناه يوماً وجهاً حقيقيّاً».

@Ibrahim_Elfiky

(١) في هذا السياق أتذكر أن إحدى القنوات بدأت تبث فاصلًا إعلانياً يظهر فتيات جميلات بالحجاب وهن يتحدثن، ثم رويداً بدأن يخلعن غطاء رأسهن حتى اختفى تماماً وأصبح هناك فاصل يُظهر فتاة بكامل المساحيق وينثر على وجهها شيئاً من التبر (تراب الذهب).

الفصل الخامس

صخرة أهل الكهف

فجأةً ..

وكأننا أزحنا صخرة عن باب كهف ظللنا حبيسيه لسنوات. فجأة عرفنا أن لدينا بطالة ومعدلات فقر. فجأة عرفنا أننا نفتقر لأبسط قواعد البنى التحتية: أحدث إستاد رياضي لدينا عمره عقدان ! ومطارا جدة والرياض الدوليان كذلك. فجأة اكتشفنا كوارث اجتماعية وقضايا اعتداءات جنسية في محيط الأسرة. وفجأة اعترفنا بنسب تحرش عالية في بلادنا بلاد الحرمين، والأدهى أن يحدث ذلك في مكة والمدينة! وإلى آخر ما هنالك من الكوارث، فكيف حدث هذا؟ ومتى؟

يروي الدكتور عبد الله الخريجي الأستاذ المحاضر بجامعة الملك عبد العزيز، أن طالباً في إحدى كليات المملكة قدم بحثاً عن «الإعتداءات الجنسية داخل بعض الأسر السعودية » فما كان من القسم إلا أن رفضه، وبطريقة لطيفة أخفوا البحث وطالبوه بنسيانه .

مما لا شك فيه أن السلطة الرابعة متمثلة في الصحافة والإعلام الحر والكاريكاتير تعتبر خط دفاعٍ قوي للأوطان، إذ تقوّم اعوجاج الوزارات والهيئات، وتوقظ المسؤولين، وتفضح الفاسدين .

إذاً هي نظرية «السجادة»، كل ما هو غير نظيف يُكنس ويوضع تحت السجادة لأجل غير مسمى .

عندما سأل أحدٌ المستشار محمد سعيد طيب عن فترة أواخر الثمانينيّات إلى أواخر التسعينيات قال عنها: «لقد كانت سنواتٍ شديدة العتمة» غابت فيها وسائل الإعلام عن المشهد لعقود، بل ومارست دوراً عكسياً بإخفاء المشاكل والقول بأن كل شيء على ما يرام.

لقد ظللنا لسنوات حبيسي بعض المشاريع التي تحققت كإنجاز عادي جداً عرفته كثير من الدّول، وبسبب بعض المنافقين من الإعلاميين ثملنا بنشوة تلك المشاريع ندندن لها ليل نهار[1] ، في موسيقى الأخبار والأناشيد الوطنية مصاحبة للصورة الشهيرة لطائرة تعبر الجسر في مطار الملك خالد، إلى

---

(١) كان الأستاذ رامي أبو غزالة رئيس مجموعة البيك يقول عن احتفالهم بجائزة ممنوحة أو تحقيق إنجاز: «نفرح بعضاً من الوقت ، ثم نعود للتساؤل والعمل».

أن استيقظنا على الكارثة.

طبعاً لدينا مشكلة، ومشكلة كبيرة أيضاً! فبعد تلك السنوات العجاف من الإعتزاز الزائد والزائف بالنفس، وازدراء الآخرين، واعتناق كلمات مثل «إرفع راسك أنت سعودي، غيرك ينقص وأنت تزودِ! »، والاعتقاد أننا وصلنا إلى القمة، وأننا وحدنا نمتلك الحقيقة، وأننا الأصح إسلاماً وغيرنا منقوص الإسلام ومبتدع، وغيرها من الأعراض التي على غرار «اذهبي أيتها السحابة حيثما شئتِ فسيأتينا خراجك».

جاء سبتمبر وأخبرنا أن سيداتنا بلا هوية شخصية ! لأن وجه المرأة عورة! حسناً، وجواز السفر؟! تناقض؟ ولغياب الصورة الحقيقة للسيدة انتقلت ملكيات سيدات كُثر إلى ملاك آخرين دون علمهن ! من سيارات نصف نقل إلى أراضٍ تقدر بالملايين، لم يكن العدل وقتها مطلباً بقدر ما كانت تغطية وجه المرأة واجبة.

«إني حرمت الظلم على نفسي» .

حديث قدسي

لماذا يسافر الناس إلى دبي؟!

قبل سنوات، لم تشأ مشيئة الرحمن إلا أن نسافر إلى دبي بسبب مسألة التأشيرات، فقلت لنفسي: دبي؟ أمن أسواقٍ وجدرانٍ نهرب.. إلى «مولات» وأسقف أخرى؟

ولكنني ورغم ترددي على دبي وقضائي فترة دراسةٍ فيها، إلا أنها تفاجئني في كل مرة، فلا الأسواق هي الأسواق ولا الخدمات هي الخدمات.. نظافة، تعامل حسن، أسعار وخيارات لجميع الفئات، النظام، وما أدراك ما النظام؟ .

إن ما يختلط بمشاعري حين أفرح وأنا أتسوّق وأتنزّه في بلد قريبة من بلادي، هو شعور يطلق عليه إخواننا المصريون «صُعبت عليَّ نفسي»! أي «حزنت على الهوان الذي أحسست به» إي والله، أو نفرح لدخول حمامٍ نظيف نجد فيه كل المستلزمات من المناديل إلى الصابون وعلى مستوىً

عال من النظافة»؟؟[١]، أو نركب قطار المترو ونفتح أفواهنا متعجِّبين ومعجبين؟ تماماً كما أعجب بمطارٍ في مدينة صغرى بالهند؟ (وهي دولة عظيمة أكنّ لها الإحترام إلا أن إمكانياتنا وظروفنا ولا شك أفضل منها).

الكل يمشي في حاله هنا في دبيّ: النحيل والسمين، الملتحي والحليق، المتنقبة والسافرة، ولكن «حدود حريتك تنتهي عند حدود حرية الآخرين»، وإياك أيها الشاب أن تتجرأ وتتجاوز حدودك في التحرش بفتاةٍ هنا، فسيتم فضحك والتشهير بك وعقابك.

إن السعوديين يأتون دبي لأسباب عديدة، أهمها.. أنهم يرون فيها بلادهم كما كانت يجب أن تكون .

«إن الذي لا يفارق بيئته التي نشأ فيها، ولا يقرأ غير الكتب التي تدعم معتقداته الموروثة، فلا ننتظر منه أن يكون محايداً في الحكم على الأمور» .
الوردي

---

(١) من الغرائب : رغم أن معدل ولادات الأطفال لدى الألمان ينقص عنا بنسبة عالية جداً. إلا أنهم، ومعظم الأوروبيين، يهتمون بالطفولة ومستلزماتها، ولا تجد منشأة إلا وبها غرفة «إرضاع» وتغيير حفائظ، وآلة تبيع مستلزمات الأطفال بالنقود المعدنية !

لا تجعلوا المدن قُرى

«ترييف المدن، ونزوح أعداد ضخمة إلى المدينة،
أعاقت التحضر، فالريفي يفرض رؤاه وتخلفه،
ويضطر أهل المدن لمسايرتهم لكثرتهم».

@alshaikhmhmd

ذكر غازي القصيبي رحمه الله في كتابه «التنمية.. الأسئلة الكبرى» مصطلح: «اجعلوا القرى مدناً ولا تجعلوا المدن قرى»، وقد عانت عواصم كثيرة كالقاهرة وطهران وغيرهما من نزوح سكاني رهيب بحثاً عن الخدمات والحياة الأفضل، وهنا تكمن الكارثة. بانعدام وجود خطط تنمية شاملة وعادلة تسير بالتوازي لكل المدن والقرى كنسبة وتناسب، فإن البنى التحتية في المدن تضعف شيئاً فشيئاً، وفي إحصائية في مجلة «News Week» فإن ثاني مطار في العالم حقق نسبة ازدياد في أعداد المسافرين كان مطار الملك خالد في الرياض بنسبة تفوق ٤٠٠٪ ! مع العلم أنه بهيئته وبواباته الستة عشر

+ ثمانية لشركات الطيران الدولية منذ عشرات السنين!

وإن كان لا بد من نزوح الناس من الهجر والقرى إلى المدن، فإن تطبيق الأنظمة الصارمة على سكان المدينة الكبرى التي تمتاز بتنوع سكانها وتعدد مشاربهم مهم، ويلزم إخضاع الكل لعقد اجتماعي مدني يسري على الكل، عكس القرى التي تدار بعقد عرفي تعارف عليه سكانها عبر أجيال يجعلهم يرفضون الحديث ويتشبثون بالقديم، مما يجعل سكان المدن يتصرفون كركاب قطار في مقطورات مختلفة، وقد ينزل كلٌّ في محطة مختلفة عكس القرى التي يتعامل سكانها كأنهم في مركب واحد يخشون إحداث ثقب فيه ويمنعون أي عضو من الخروج منه[١].

(١) انظر مقال د. عبد الرحمن الوابلي: مدننا الرابضة.

تهنئة غير المسلمين

«بعد آلاف السنين من الحياة المشتركة:
أسرة واحدة وفي وطن واحد، هل نحن
في حاجة إلى فتوى تردّ على المتشددين بأن
تهنئة المصريين غير المسلمين بأعيادهم لا
هي ذنب ولا حرام؟ والله عيب جدًّا هذه
الإساءة منهم إلى الإسلام، وعزاؤنا أن
الإسلام أعظم دائماً من المسلمين».
أحمد رجب

تنويه: توجد كثير من القضايا الكبرى التي يجب أن تشغلنا غير «عيد ميلاد» أو تهنئة، وإنما أذكر هذا الأمر هنا كظاهرة كرست لثقافة كراهية الآخر.

إذا أردت أن تثير حفيظة مواطن في تلك الحِقبة، فاذكر له موعد قرب السنة الميلادية! فهذا موضوع شديد الحساسية لدينا معشر السعوديين، وفيه خلط بين عيد «الكريسماس» ومجرد دخول سنة جديدة. ومع اقتراب السنة الميلادية التي تصرف كثير من المنشآت رواتبها بناءً عليها، وتضبط ميزانية

الدولة ساعتها عليها، تظلّ خطب كثيرة للنهي عن مجرد تهنئة أي زميل في العمل أو موظف أو مقيم، وتنتشر ملصقات تجرّم ذلك، والعجيب أن موقع «ويكيبيديا» يعرّف السنة الجديدة ويذكر أنه يُحتفل بها من جميع سكان الأرض، وكان أحرى بهم أن يفتحوا قوسين ليستثنوا شعباً واحداً دون ١٩٦ آخرين !

السؤال: هل هذه التحريمات خاصة بنا كسعوديين ؟ أم أنها شاملة لجميع المسلمين ؟.

أتمنى أن تكون خاصة بنا، لأن أصحاب هذه الآراء ضيّقوا الأفق ولم تجاوز نظراتهم أهدابهم، لأنهم يعتقدون أن كل العالم هو «نحن». والواقع أن كثيراً من إخواننا المسيحيين يعيشون بجانب إخوانهم المسلمين جنباً إلى جنب، وفي الطوابق نفسها، فكيف نردّ على جارنا في بيروت بعدما كان يشاركنا الصيام ويقول لنا «فطر سعيد» بكل وجه بشوش؟

الإحتفال بالأعياد

الإحتفال بأعياد الميلاد لم يكن معروفاً لدى السعوديين ـ بشكلٍ عام ـ إلا لبعض الأسر الميسورة التي عاشت في الخارج ربما، ولأهل الحجاز عبر مشاركتهم الثقافة المصرية.

في السنوات نفسها كانت هذه المسألة تعد ضرباً من البدع والمحرمات، وفي مرحلة «الحلحلة» ما بعد سبتمبر قال الشيخ سلمان العودة على إحدى الفضائيات: «إن الإحتفال بعيد الميلاد لا بأس فيه، طالما أنه لم يسمّ عيداً ولكن بمسمّى يوم الميلاد». والطريف أن المسمى أصلاً لم يكن يوماً يعني عيداً بل «يوم الميلاد» حسب الترجمة الإنجليزية!

«لماذا من كان يعارض بعض الأفكار قبل عشر سنوات يرددها الآن ؟

وهل سنحتاج الانتظار عشر سنوات أخرى حتى يغير رأيه في الأفكار المطروحة الآن»؟

@TareqAlSuwaidan

لا جديد تحت الشمس

الهيئة_تمنع_بيع_الورد_الأحمر

@Ammar_2008

«سمفونية كل عام في بعض المناسبات بس
الممتاز أن بقية الألوان متاحة ومسموحة»
عيد الحب» .
«لا بأس يا زوجتي ... اقبلي مني وردة
بيضاء اليوم فالورد الأحمر ممنوع اليوم،
غداً سأعطيك وردة حمراء».

كنت أجلس ذات مرة في طابق رجال الأعمال في أحد فنادق «بروكسل» أتصفح بعض صحفنا المحلية، وإذ بي ألمح صورة كبيرة في وسط العدد لرجل بثوب وبشت «يدهس» باقة وردٍ حمراء تحت عنوان «مداهمة محال ورد مخالفة.... ». قمت مسرعاً بإخفاء الصحيفة لألاّ يراها أحد رجال الأعمال من حولي فيُسقط في يدي لأنني لن أجد ما أبرره بشأن المشهد الغريب.

وبصورة سنوية يضيّق على محالّ الورد التي تبيع الورود الحمراء بصورة طردية، كلما اقترب موعد عيد الحب وتغلق أخرى تبيع منتجات حمراء اللون، وترتفع أسعار الورد لدينا بشكل جنوني من ٥ ريالات إلى ١٥٠ ريالاً للوردة! وبات أزواج كثيرون يخرجون لتناول وجبة عشاء رومانسية في الليلة السابقة أو اللاحقة لعيد الحب للتمويه !

وهنا أطل على نقطة لم أجد لها تفسيراً، لِمَ تعتبر كلمة حب بحد ذاتها في بلادنا نقيصة؟!

لطالما تغنت العرب بالحب والهيام بالمحبوبة، بل إن مطلع قصيدة حسان بن ثابت رضي الله عنه في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام هي بيت غزل:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ

ووجد أحد أصدقائي تفسيراً فحواه أن هناك من يخلط بين الحب و «الغريزة» الخارجة عن إطار الحياء والشرعية !

أخيراً أسأل ... هل حققنا كل منجزاتنا الكبرى وقضينا على الفساد وانتقدنا المفسدين والظالمين لنتفرغ لهذه القضايا؟! ورغم إيماني التام أن «الكريسماس» فعلاً ليس من ضمن أعيادنا أتساءل أيضاً: هل ديننا الحنيف هش إلى حدّ

أن شخصية نحتار في إخفائها عن أبنائنا في السفر هي «بابا نويل» الرجل السمين ذي الوجه البشوش باتت ترعبنا؟ ولدرجة أن تسبب لنا مثل هذه الأعياد رعباً سنوياً فيما كل العالم يقتسم السعادة والخبز ؟

الحقيقة أن الأمر ليس عيد حب أو يوم أم أو غيره، إنه أمر لا صلة له بالأديان، لأننا حرمنا حتى من ذكر نبينا الكريم والإحتفال بمولده الذي يحتفل به كل العالم الإسلامي وأحياناً غير الإسلامي !

وإن ما يستشهد به البعض من خزعبلات تجري في بعض الدول يوم المولد النبوي هو خاص بمرتكبيه وكمن يستخدم السكين في القتل! كان من الأولى بنا أن نقدم البديل لما لا يصحّ، وحتماً كنا سنغدو قدوة للغير نظراً لمكانتنا الجغرافية والتاريخية.

«يقدسون من يحبون،
ويشيطنون من يكرهون،
ويسيئون الظن بمن لا يعرفون».
@ZainB

أي اختلاط تريدون؟

«مشكلة المرأة أنها بين سندانين:
فريق يريد كبتها وحبسها، وآخر
يريد تحريرها بلا قيود ولا حدود
ولا قيم».

عبدالله فدعق

لم يفلح الكثيرون في إيجاد مرجع لكلمة «إختلاط» في التاريخ الإسلامي، ووصل ببعض المتشددين إلى المطالبة بفصل النساء عن الرجال تماماً في المسجد الحرام!

والغريب أن من ينادون بذلك هم أنفسهم «يختلطون» في كثير من الأحيان، فلديهم خادمات في البيوت، وأهلهم يخرجون مع السائق، وهم يسافرون هنا وهناك فيسيرون بجانب السيدات في ردهات الفنادق وفي الشوارع ومعارض الكتب! فكيف يحرمون ذلك على غيرهم ؟

حتى في عهود الإسلام، كانت النساء يصلّين في الصفوف الأخيرة دون فواصل أو عوازل، فبدت المرأة إنساناً عادياً ما

دامت محافظة على نفسها وحيائها .

إن هذه التصرفات التي استجدّت على مجتمعنا: العزل الكلي بين الرجل والمرأة والتوجس من العلاقة بينهما، أدت إلى شباب مهووس بالبحث عن المرأة السعودية في كل مكان! فهي بالنسبة له لغز غائب .

وهذه الظاهرة هي سبب تأخر كثير من الرحلات التي تخشى فيها السيدات الجلوس بجانب رجل سعودي، ولا تمانع أن تجلس بجانب رجل «كونغولي» مثلاً !؟

وما إن يجلس شباب في مقهى في الخارج ويعلموا أن الفتيات الجالسات بجانبهم سعوديات، حتى تضطرب التصرفات وتحبس العبرات، ولو أوتي كل واحد منهم سكيناً لقطّعوا أيديهم !

وهذا يفسر ظاهرة التهافت على المذيعات السعوديات، فالمسألة غدت بحثاً عن الكم وليس الكيف، غاية لا وسيلة، فكان أن أطلت علينا مذيعات دهنّ وجوههنّ بكميات من المساحيق، ويجدن صعوبة بالغة في قراءة خبر بسيط وبلغة ركيكة! كل مؤهلهن أنهن سعوديات.

كنت أمرّ بقنوات تلفزيونية، وتوقفت عند ضيفة تتحدث

بإسهاب عن وجهة نظرها في أمر ما وسط إنصاتٍ من الطرف الآخر.. وقد تبين أن المتحدثة هي المذيعة والمنصتة هي الضيفة!

لا أحد ضد المذيعة السعودية المتمكنة والمثقفة، وفي الساحة نماذج مشرفة للمرأة السعودية.

«أستغرب أن معظم الإعلاميات السعوديات يربطن تبرجهن لطبيعة عملهن، وفي المقابل نجد السيدة الأولى في تركيا تتحجب بطريقة محتشمة».

@fahad_alnanih

الفصل السادس

مناخ العائد بلا جهد

قتلنا النِّصف!

يمكن تعريف مناخ «العائد بلا جهد» بأنه مناخ تولّد في ظروف رقابية ضعيفة تسمح بالفساد، استفاد منه أفراد بسبب قربهم من مواقع هامة أو بسبب توفر المعلومة لديهم دون سواهم، وأدى ذلك لقفزهم للسلم الإجتماعي عدة درجات، والثراء السريع، دون أن تكون لديهم مؤهلات معقولة لهذه القفزة السريعة من كفاءة أو علم أو مثابرة أو إخلاص، وتكمن خطورة هذا المناخ إلى أمرين:

١- شعور أهل الكفاءة والخبرة والتخصص بالغبن والظلم، وعدم الإحساس بالأهمية من عدم تحقيق الذات ثم انعدام الإبداع. وتحت ضعف الوازع الديني والأخلاقي قد يقومون بترك وظائفهم وتخصصاتهم، أو الأسوأ من ذلك ظاهرة الجمع بين الوظيفة الحكومية التي تضمن المرتب حتى

دون الحضور أو الحضور الجزئي[١].

٢- أن تصبح هذه الأمثلة من البشر قدوةً للمجتمع، ويصبح تقليدها أمنيةً للكثيرين ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ للوصول إلى الثراء السريع دون السؤال عن مصدره أو سببه، فتظهر عبارات في منتهى الخطورة مثل: «يا سيدي ... ويا عمّي أصلاً فلوس البنوك حرام».

(١) ما قتلنا إلا النصف: نصف الموظف، نصف المثقف، ونصف العالم.

سوق الأسهم

Dow Theory : The accumulation phase (distribution phase). the public participation phase and a panic phase (excess phase).

نظرية داو: التكون - مشاركة الجماهير - الهلع.

ينقسم تاريخ السعوديين مع سوق الأسهم إلى قسمين : تجار كبار يملكون الأسهم منذ ما قبل ٢٠٠٣ وأسر تمتلك أسهم محدودة في شركات معينة.

اضطرت رؤوس الأموال للهجرة بعد أحداث سبتمبر من أمريكا خصوصاً ودول أخرى، والعودة إلى المملكة .

وفي ظل غياب فرص متنوعة للإستثمار سوى العقار وسوق الأسهم، بدأت الأموال تتدفق على سوق الأسهم رويداً رويداً، صار الموظف والمعلمة يسمعان من زملائهما عن مكاسب مهولة في فترة قياسية، وصار الناس يدخلون سوق الأسهم زرافات ووحداناً! إكتست شاشات التداول

باللون الأخضر يومياً! حتى أن أياماً كانت تمر والمتداولون لا يستطيعون الشراء بسبب ارتفاع الأسعار للنسب العليا! وامتلأت صالات التداول عن بكرة أبيها وسط مباركة من وسائل الإعلام وكتّاب لم يكن لهم أي صلة بالإقتصاد فالتحفوا عباءة التحليل بين ليلة وضحاها تحت مسمى «محلل مالي»! وترك كثير من الموظفين أعمالهم، ومنهم من انشغل بحاسبه المحمول إن لم يستطع الخروج، وقام كثيرون وسط إغراء المكاسب السريعة ببيع عقاراتهم بلا مبالغة واستخدام مدخراتهم للزج بها في أتون السوق. وانتشرت مجموعات تدعى «جروبات التوصيات» ومنتديات سوق الأسهم التي يدعي أغلبها معرفة معلومات من «مصادر موثوقة»، وهي مثل مقولة «كذب المنجمون ولو صدقوا»! بل وإن بعض.. وأشدّد: «بعض» من في المصارف كانوا يشاركون في ذلك ربما مقابل شيء ما، وجاء اليوم الذي أخبر عنه المصطفى عليه الصلاة والسلام: «الذي لا يبالي في المرء إن كان ماله من حلالٍ أم من حرام، إلا ما رحم ربي» .

وسط هذه الطفرة «السهمية» كان لا بد من إعادة تقييم نسبة احتساب نقاط المؤشر، الذي كان يتحرك بشركة واحدة أو اثنتين صعوداً أو هبوطاً، نظراً لقوة السيولة التي كانت

أكبر من أن يستوعبها السوق بسبب قلة الشركات، لكن هذا لم يحدث، ودخل السوق عصر الإكتتابات. عشرات الشركات أدركت أهمية صعود هذا القطار المندفع بسرعة، وبالتالي أصرت على التحول إلى شركات مساهمة بغضّ النظر عن أهليتها لدخوله أم لا. كانت تطل علينا كل فترة شركة جديدة ، واندفع الناس للإكتتاب، حتى السيدات على الكراسي المتحركة أحضرهنّ أبناؤهن إما للوكالات أو للصالات للاستفادة من أصواتهن ... أقصد أسمائهنّ!

وهنا ظهر أمر خطير رأيته لأول مرة... وهو ظاهرة بيع الإستمارات! حين يقوم بعض راكبي الموجة من المتطفلين بالتنبه لشح استمارات الإكتتاب وسط اقتراب موعد إغلاق الاكتتاب وتنامي لهفة المكتتبين، فيبيعون الإستمارات بمبلغ مائة ريال لاستمارة مجانية (العائد بلا جهد). وهذه الظاهرة الخطيرة ستظهر لاحقاً في فترة تصحيح أوضاع المقيمين في صورة بيع أرقام الإنتظار!، لكن أحداً لم يكن يريد أن يعرف إلى أين سيذهب هذا القطار أو أن هذا القطار بلا مكابح !.

أول هبوط قوي جاء بعد عدة أشهر من فورة السوق إلا أنه لم يكن قوياً جدّاً، واستمر السوق صعوداً بزخم كبير. وأذكر أن العقل الجمعي وقتها كان يرفض فكرة تضخم

المؤشر، بل كان ذلك دليلاً على قوة اقتصاد الوطن وضرباً من الوطنية! وعندما تحدث الشيخ أحمد حسن فتيحي عبر الأقمار الصناعية من القاهرة محذراً من تضخم السوق وإمكانية انحداره قريباً، كيلت له الشتائم المحملة أحياناً ببعض العنصرية المقيتة كالعادة وسط مطالبة بعدم الاكتراث له ولرأيه كمالك لشركة كبرى ومثقف وطني .

في المقابل، صدر تقرير من «بنك نومورا» الياباني يتساءل عما إذا كانت السوق السعودية هي الفقاعة القادمة؟، ومرة أخرى رفض كثيرون الاستماع إلى صوت الحقيقة.. كعادتنا.

أدمن السعوديون الأسهم بكل أشكالها، بل وسافروا خلفها إلى دبي، وناموا في ملاعب كرة القدم في قطر !

ثم استيقظ السعوديون على اللون الأحمر .. وهذه المرة لمدة طويلة ويوميّاً، وسط ذهول من الجميع. ولم تنفع تطمينات الجهات الرسمية، وغير الرسمية .. فقد كثيرون من الطبقة الوسطى مدخراتهم وعقاراتهم وأحياناً عقولهم، حين انحدر المؤشر من ٢١ ألفاً إلى ما تحت ٤ آلاف . وهكذا .. انتهى الحلم.

«البعض يهتم بتفسير المنامات أكثر من اهتمامه بقراءة واقعه ويظن أن لنومه تأثيراً أكبر على مستقبله من عمله».

سوا، لحوم، بيض.. وأشياء أخرى

بعدما أدمن الناس ثقافة الربح السريع وتعودوا على «مناخ العائد بلا جهد» ومحاولة للتعويض السريع عمّا فقدوه، كان لا بد أن يظهر في الأفق أمل جديد. وظهرت مساهمات «سوا» وهي بطاقات هاتفية من المفترض أن يشتريها التاجر بكميات كبيرة ليحصل على خصمٍ على ثمنها الأصلي فيكون هامش ربح له، فكان من البعض أن ظهر مدعياً أنه يحقق ربحاً يصل إلى نسب عجيبة تصل إلى أكثر من ٥٠٪ على رأس المال الأصلي في غضون زمن قياسي: شهر مثلاً ! وهي خدعة قديمة ظهرت عام ١٩٢٠ [(١)].

تهافت الكثيرون على هذه المساهمات وبلغت ثقتهم في صاحب المساهمة بأن يودعوا المبالغ في حساباتهم دون أي

---

(١) في الولايات المتحدة من قبل «شارلز بونزي» الذي كان يأخذ أموالًا من المساهمين ليعطيها لمساهمين آخرين كأنها أرباحهم، فما يلبثوا إلا أن يعيدوا استثمارها !

وصولات لهذه العمليات، أو برمي المبلغ فوق السور مربوطاً بورقة تحمل اسم المساهم ! (قصة حقيقية).

والعجيب أن كثيراً من هؤلاء المساهمين، عندما كان البعض يحذرهم من احتمال ضياع أموالهم قالوا: «كم سيأخذ؟ ألفي ريال: خمسة؟ لا يهم». وهذه شريحة كبيرة من عشرات الآلاف من المساهمين الذين استهدفهم مخادعو «سوا».

ولم يمضِ وقت إلا وتكشّف فيه حجم الكارثة. اختفى كثير من المحتالين وبعضهم أُلقي القبض عليه بجهود المساهمين أحياناً! ولم يكن من السهل إثبات التّهم عليهم بدقة، ولا حصر المبالغ التي أخذوها من المساهمين، إذ إن الكثيرين أخذوا سندات غير رسمية وبعضها أوراق شبه بيضاء، والكثيرون لم يأخذوا هذا ولا ذاك. وما زال المسلسل مستمرّاً. وظهرت أنواع جديدة من المساهمات، كمساهمات البيض والدواجن والمواشي![1] وتتكرر المأساة ويختفي المحتالون وأحياناً يفرون إلى الخارج وتفر معهم أحلام الآلاف.

---

(١) ظهرت أيضاً في هذه الفترة مسابقات أرقام «٧٠٠» التي أبسط ما نستطيع قوله عنها أنها ميسر بلفة بسيطة!

رحم الله الشيخ الطنطاوي الذي قال: إن الموضة تأتينا بعدما يلفظها الغرب! .

«برغم صعوبة ما يجري الآن .. إلا أنه حالة كاشفة لكثير من الأفكار التي كانت تختبئ أو تتخفى، وكثير من الأخلاق التي تكشفها الأحداث».

طفرة مكائن الخياطة

بعدما سخر الناس من المواطن المصري الذي اشترى «التروماي» والآخر الذي اشترى الأهرام .. ظهر من يبحث عن مكائن الخياطة التي هجرها الناس ! والسبب .. شائعة تقول إن هذه المكائن تحتوي على مادة «الزئبق الأحمر» التي تقول الشائعة أيضاً أنها أغلى من الذهب واليورانيوم ! بينما يقول آخرون إنها أحد مطالب العمل مع الجن !

بدأ الناس يتهافتون على محال بيع المكائن التي وصلت أسعارها إلى ١٥٠ ألف ريال، وظهرت فجأة أسواق خاصة بهذه السلعة، وصار الناس فجأة خبراء في معرفة المكائن المناسبة بتمرير الهاتف المحمول عليها فإن اختفت إشارة الهاتف فأنعم وأكرم بها من مكينة خياطة! وإلاّ فلا! سامح الله خالاتي اللاتي رفضن بيع مكينة جدتي، وإلا كنا من أصحاب الملايين... يا أمّة ضحكت...

من الطريف، أن بعض الصحف والقنوات كتبت على

صفحاتها في الإنترنت عن ظاهرة بيع مكائن الخياطة وسط تحذيرات منها، فإذا بتعليقات تنشر في أسفل الصفحة مثل : لدينا مكائن خياطة للبيع! .

«قرأت مقالاً يوصّف الساحة الفكرية السعودية.. تملكني شعور وأنا اقرأ أنني في ساحة حرب، أسابق الحراب وأتوقى السهام ..

أظن وأرجو أننا لسنا كذلك!».

خالد المصلح





فلاح سعودي سعيد بجنيه للتمر

تصوير « دورثي ميلر » - مجموعة أرامكو

الفصل السابع

السيول....تعرية الفساد

غرقٌ في شرق جدّة[1]

استيقظت، مثل كثيرين في ذلك اليوم الذي بدا كغيره من الأيام، ولم يخطر ببال أحد ما يخبئه من أحداث كان لها الأثر الكبير.

لا زلت أتذكر ذلك اليوم تماماً. خرجت من منزلي في الساعة الثامنة صباحاً متجهاً إلى المطار والمياه تهطل بغزارة. الرحلة: جدة – القاهرة – جدة، هذه الرحلة إلى أن نعود إلى جدة تستغرق حوالي سبع ساعات على أبعد تقدير، إلا أنها أخذت منا في ذلك اليوم قرابة الأربع عشرة ساعة!

المطار شبه مشلول والخدمات بطيئة جداً من نقل للركاب وأمتعتهم إلى قيام موظفي الصيانة ـ المغلوبين على أمرهم ـ بأعمالهم وسط هذه الأمطار الغزيرة، في حين رفض بعض العمال العمل لعدم تجهيزهم بملابس لمثل هذه الأجواء، يكفي

---

(١) تراجع الصفحات: ٢٦٦ - ١٦٩.

أن الرياح كانت تتلاعب بحاويات الأمتعة يُمنة ويُسرة !

أقلعنا بسلامة في لحظة سكنت فيها الأمطار قليلاً، لعله كان الهدوء الذي يسبق العاصفة . ورغم اطلاعنا على خرائط الطقس إلا أن الحقيقة أبت إلا أن تفاجئنا. السحب الركامية شرق جدة ضخمة وكثيفة لا يمكن لأي مرصد مهما كان صغره أن يضلّ عنها. شققنا طريقنا باتجاه الشمال الغربي كالمعتاد لنترك عروس البحر الأحمر تواجه مصيرها المحتوم.

عاشت جدة يومها قصصاً أشبه بقصص الأفلام والروايات. غرقٌ في شرق جدة، الأنفاق امتلأت بالماء لتصبح أكبر برك سباحة في العالم!. أسر محتجزة في السيارات، منها من جرفته السيول. بعض القصص البطولية لأشخاص أنقذوا حياة الآخرين وخاطروا بحياتهم، ولن تنسى جدة ذلك المقيم الباكستاني البطل «فرمان علي» الذي أنقذ الكثيرين إلى أن وافته المنية شهيداً.

عاد أحد أقربائي من عمله بصحبة زوجته، توقفت بهم المركبة ولم تقو على السير من معدّل ارتفاع المياه، فكان أن خرجوا وأكملوا شيئاً من المسافة سباحةً، وتوقفوا في أحد الفنادق في منطقة الحمراء التي كانت ممتلئة تماماً، فارتاحوا

وتناولوا بعض الطعام، ثم أكملوا مسيرتهم إلى أن وصلوا إلى منازلهم فجر اليوم التالي.

كتب الدكتور وليد فتيحي يومها واصفاً الكارثة التي عاشها في المركز الطبي الدولي في جدة تحت عنوان: «عندما تختزل أحلام أمة في بلاعة»:

«إذا بالمسؤول عن إدارة الكوارث بالمستشفى يستأذن المهنّئين حولي ويأخذني خارج القاعة ليخبرني بأن جدة تواجه خطراً محدقاً، فقد انهار سد أم الخير وبدأ السيل يهدر إلى المستشفى، وعلمنا لاحقاً أن هذا السد ركامي وقد ظلم من سمّاه سداً.

ومن هنا بدأت كارثة الأربعاء ٢٦ يناير ٢٠١١! فبدأ منسوب الماء في شارع حائل المقابل للمستشفى بالارتفاع بسرعة عجيبة، ثم اندفع الفيضان إلينا من كل مداخل القبو. وعلى الرغم من الموقع المرتفع للمستشفى، ووجود مضخات مياه أسفلها، إلا أن السيل كان أعنف من أن تحتويه مضخاتنا، فلم يكن في شارع حائل بلاعة واحدة تعمل على تصريف المياه! واستمر مستوى الماء في الارتفاع سريعاً حتى اقترب من محولات الكهرباء، والتي وضعتها تصميمات المستشفى في منطقة مرتفعة، فقد صُمّمت المستشفى للتعامل مع الكوارث من قبل معماريين عالميين، ولكنها للأسف لم تُصمّم لمدينة شوارعها تفتقر

إلى أبسط معايير السلامة، ألا وهي تصريف المياه! ما أبعد ما يكتبه وما يقوله المسؤولون عن الواقع الذي أعايشه الآن وأنا أكتب هذه الكلمات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وما هي إلا ساعة ويغرق قبو المستشفى، فأغلقنا قوابس الكهرباء إيثاراً منا لسلامة مرضانا وخشية أن يصيبنا ما أصاب غيرنا من حالات الماس الكهربائي ومن ثم الحرائق، خاصة وأننا مستشفى بها مئات المرضى والعاملين فيها وهم جميعاً أمانة في أعناقنا. بل وكانت المستشفى يومها ملاذاً ومأوى لأكثر من مائتي طالب من المدارس المجاورة، لم يجدوا مكاناً آمناً لهم إلا سقف مستشفى المركز الطبي الدولي لحسن تصميمه، فاحتضنّاهم وتقاسمنا جميعاً، الطعام والشراب والملابس والغطاء ليقضوا الليلة معنا ... شاهدين على المأساة التي ألّت بنا جميعاً وبمدينتنا الحزينة.

ولم تنتهِ .. بل بدأت حكاية مأساتنا .

الماء يحيط بنا من كل جانب، وكأننا في جزيرة انقطعت عن العالم، لا كهرباء إلا من مولّداتنا الخاصة والبعيدة عن منسوب المياه، والتي تُغَذّي أقسام العناية الحرجة بالمستشفى.

الماء يُحكِمُ قبضته على المركز الطبي الدولي، وليس لنا ماء للشرب يصل إلينا عبر شبكة المياه، وهذا ليس بجديد! فعلى مدى خمسة أعوام،

ومنذ افتتاح هذا الصرح الطبي على يد والدنا ومليكنا وولي عهده الأمين ونحن نعاني من نقص الماء، مرغمين على تغذية مصدر الماء بخمس سيارات ماء يومياً على مدار السنة. والآن ... وقد انقطعنا عن العالم، فلا تصل إلينا حتى سيارات الماء وليس هناك من بنية تحتية صحيّة لإيصال الماء إلينا. وفي المستشفى أكثر من ألف وخمسمائة روح محاصرة ... مرضى وأطباء وممرضات وأطفال لاجئين وأهاليهم ... وصار على عاتقنا وحدنا توفير الملجأ والماء والطعام والسلامة.

شارع حائل يغرق ويغطي السيارات وما من مغيث إن كان عنده غوث. طيلة يوم الأربعاء ولا من أحد يُعيننا على ما نحن فيه... ولا مغيث ولا معين لنا إلا الله.

وتشرق شمس الخميس ... ولا يصل إلينا إلا الصحف!!! أما غير ذلك من دعم فَتعذّر عليه الوصول إلينا أو مساعدتنا.

ومن منطلق الحرص على الأطفال القادمين إلينا من المدارس المجاورة، وعلى المرضى الذين لم يستطع أهاليهم الوصول إليهم، فقد أخذنا على عاتقنا مسؤولية نقلهم وإيصالهم إلى ذويهم. فقمنا ذلك الصباح بوضع خطة لتنسيق نقل وتحويل المرضى إلى أماكن إخلاء آمنة أو مستشفيات أخرى للحالات التي تستدعي ذلك، وأبقينا الحالات الحرجة في المستشفى، وكان فريقنا الطبّي والفنّي في حال

تأهب دائم، يعمل على قدم وساق لتقديم الخدمة الصحيّة في أصعب ظروف مررنا فيها وأحلكها، وقد وفّقنا الله، وله سبحانه الحمدُ والمنّة على تقديم كل الرعاية اللازمة لكل مرضانا.

وهأنذا أكتب هذه الكلمات يوم الجمعة الموافق ٢٨ يناير ٢٠١١ من قلب المستشفى التي لم أغادرها منذ فجر الأربعاء، ومازلنا نعمل على توفير الكهرباء عن طريق خمسة مولدات نقّالة قمنا بتوفيرها عبر شركة متخصصة، محاولين توفير مياه الشرب عن طريق السيارات قدر طاقتنا، مستمرين في ضخ المياه الهادرة خارج بدروم المستشفى والمنطقة المحيطة به عبر مضخات المياه، لتستطيع المستشفى خدمة مرضانا الذين وثقوا بنا، واستأمنونا على صحتهم، ولتستأنف المستشفى رسالتها رغم كل الظروف إن شاء الله تعالى.

إنها حقاً أيام لن تنسى من حياتنا .. لم تر أعيننا فيها النوم ..

هل يُعقَل لمستشفى مثل المركز الطبي الدولي، صُمّمَت بمعايير شهد لها الخبراء من الشرق والغرب، وحازت على كثير من الجوائز والإعتمادات العالمية، وشرَّف افتتاحها والدنا الملك عبد الله، ورأينا يومها على محيّاه السعادة بما رأى، أن تكون ضحية هذا الإهمال، وأن تدفع مثل هذا الثمن الباهظ نتيجة تقصير القطاع العام في وضع أبسط معايير السلامة كالصرف الصحي وتصريف المياه وتأمين السدود.

يا حسرة على وطن يُجْزى العاملون المخلصون فيه بمثل هذا الجزاء!!! ».

أشرقت شمس اليوم التالي، وثم بدأت الأخبار شيئاً فشيئاً ترد عبر وسائل التواصل الإجتماعي، وبدأت الحقائق تتكشّف وتزداد الأخبار: الدمار كبير، سيارات تالفة بالمئات. وهنا ظهرت الحاجة ـ لأول مرة على الأقل حسب ما أعرف ـ لتكوين مجموعات تطوعية شبابية. تجاوب الكثيرون فوراً. نقلت لي زوجتي أخبار هذه المجموعات التطوعية فاتصلت بالسيد «محمد مدني» الذي بدا مشغولاً جداً وأخبرنا عن تقديره لحماسنا ولكن الدفاع المدني لن يسمح الآن بالدخول إلى المناطق المنكوبة، وطلب منا التريث[١].

بعد يومين، التقينا بالسيد مدني وكان يمثل المنسق العام الميداني لجمعية مواطنة على مدخل شارع يطلقون عليه إسم «جاك»، وكنت قد أوقفت سيارتي مسبقاً في حيّ الجامعة وتكرّم عليّ أحد سائقي سيارات الأجرة بأن نقلني متردداً بعدما أقنعته بأنني متجه لعمل تطوعي لصعوبة الوصول إلى المنطقة.

(١) أعتذر عن ذكر مشاركتي المتواضعة في التطوع لسيول جدة، لكني أذكرها لرواية ما شهدت.

أول منظر صعقني، كان لعربة طفل «مشاية» محطمة ومقلوبة وسط الطمي ... وكأنها تختصر قصة الفساد.

تعددت المهام المنوطة بنا، من توزيع كوبونات وجبات مجانية لمطعم «البيك» جزاه الله كل خير، إلى توزيع صناديق المعونات[١].

اللقاء يومياً في مركز المعارض حيث يقوم شبابٌ رائعون من فتيان وفتيات في حوالي العشرين من العمر بتجميع الهبات والصدقات من أهل الخير ـ وما أكثرهم خصوصاً في وقت الحاجة ـ حيث ازدحم المركز بسيارات النقل بصورة يومية تبهج القلب.

وهنا أحب أن أتوقف لأعترف بشيء ما، إنني صدمت من هؤلاء الفتيان والفتيات الذين نحكم عليهم من مظهرهم وأشكالهم، ولو رأيناهم لقلنا إنه لا أمل يرجى من قصات الشباب ولا مساحيق الفتيات، إلا أن الخير فيهم كل الخير. درسٌ لي ولكثيرين: لا تحكم على المظهر، دون الجوهر.

بعد تعليب المواد في صناديق، تسلم لرئيس كل مجموعة

(١) أحد السكان قال: بعد يومين من الكارثة: «كل يوم دجاج !».

وينطلق مع مجموعته إلى منطقة معينة ويسلمها لمستحقيها. وتقوم مجموعة من الفتيات من مركز «خديجة بنت خويلد» بلقاء السيدات من أهل الدار للسؤال عنهم وتقديم الدعم النفسي لهم وتدوين معلومات عن حالتهم. ورغم أن بعض الأسر ليسوا بحاجة لصندوقنا الداعم، إلا أن وجودنا أبهجهم وبث الأمل في نفوسهم.

في الأيام الأولى التي دخلنا فيها منطقة الصواعد شاهدنا «الدفاع المدني» حيث كان من الواضح أن أفراده يقومون بجهود فردية بزورق مطاطي للبحث عن أسرة مختفية في بحيرة ضخمة عميقة من مخلفات السيل، ومن الواضح أنهم لم يتلقوا أي تدريب يذكر في هذا المجال[١].

هذه السطور هي النسخة المخففة من الواقعة دون التطرّق إلى مشهد الوجوه الخائفة، ودون صوت بكاء الأطفال ممن فقدوا أمهاتهم . إن ما حصل لكل من داهمتهم السيول في مدن مختلفة سيترك أثراً مرضياً يسمى Posstraumatic stress disorder وهو اضطراب يعاني منه المرء بعد حدوث كارثة معينة، وقد يعيش الواقعة مرات ومرات، بتنا اليوم

---

(١) صحيفة من الصحف المطبلة ذكرت أن دولة منكوبة بزلزال، استعانت بالدفاع المدني لخبرته الكبيرة!

ولأول مرة في تاريخنا المعاصر نشهد خوف الناس من الغيث الذي يعدّ نعمة منزلة من الله عزّ وجلّ [١].

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡ﴾ .

ظهر الملك عبد الله في الإعلام ليقول بشجاعة: «إنه الفساد». فتح هذا الباب المطروق لأول مرة الحديث بحرية من الآن فصاعداً عن هذا الداء الذي استشرى في مؤسساتنا وأنهكها.

حتماً إن تأسيس هيئة لمكافحة الفساد ليس طموح الكثيرين، لكنها بداية.

السيول التي قيّدت ضد «مجهول» كانت فرصة للبدء، ولو متأخراً، للعمل على إعادة هيكلة البنية التحتية لكثير من المدن.

«من كل عشرة في العالم العربي :
١ يعمل و ٢ يشكرانه على عمله
و٣ يشككون في نواياه و٤ يرددون
له يوميًا : مفيش فايدة ..
فاختر لنفسك الدور الذي يناسبك».

---

(١) قد كتبت ذات مرة مشاهدةً عشتها وقت نزول المطر تحت عنوان : «منذ متى يشكل الغيث هاجساً»؟.

الفصل الثامن

تساؤلات

هل نحن شعب يحب العمل ؟

أشك.. نحن فعلاً شعبٌ أبسط ما يقال عنه أنه «لا يحب العمل». وظهرت مؤخراً إحصائيات غير رسمية تفيد أننا من أكسل شعوب الأرض، وقد اشتهرنا مؤخراً بكثرة الإجازات وبظاهرة «ضم الإجازات! ». وبإمكانك سيدي فتح نافذة منزلك على كورنيش «الخبر» لترى السيارات تجوب الشوارع للتنزه ليلاً بعد منتصف الليل، في ليلة أي يومٍ من أيام الأسبوع فهي سيّان، ولا يوجد أي مظهرٍ يفيد أن اليوم اللاحق هو يوم جدّ وعمل.

وقد التقيت بأناسٍ في أواخر الثلاثينيات من العمر، يتمنون العيش بلا عمل في أي بلد ما بصحبة «شيشة»!! وآخرون لا يمانعون أن تصلهم مرتباتهم كل شهر وهم جلوس في ديارهم!

ولهذه الكارثة الأخلاقية عدة أسباب، أهمها :

١- عدم زرع قيمة حب العمل في نفوس أبنائنا منذ

الصغر، وهي من أهم القيم للأمم المتحضرة، وكثير من الفلاسفة يرى أن الأصل في الحياة هو العمل، وأن السعادة إنما هي تلك اللحظات الجميلة التي نشعر بها بعد الإنجاز، لا لتغمرنا طويلاً، بل لتدفعنا للمزيد من العمل، وللفيلسوف «شوبنهور» مقولة شهيرة : «الدنيا ليست محلاً للسعادة، بل للإنجاز».

٢- إن الكثيرين من العاملين يعملون في وظائف وأعمال لا يحبونها، وحلموا بغيرها منذ طفولتهم. وقد كتبت ذات مرة في مقال عن ذكريات الطيران :

«وليس أمتع من أن يعمل المرء فيما يحبّ، ومن لمس في ابنه شغفاً بعملٍ ما، فليأخذ بيده، ولا يحرمه من ذلك بحجج واهية: صعوبة الالتحاق، عدم وجود مستقبل لتلك المهنة، وغير ذلك.. والأعمار بيد الله، وقيادة السيارة في بعض البلدان أخطر من ألف هبوط بمحرك واحد! وكثير ممن ابتلينا بهم ممن يعطلون أمور البلاد والعباد يعملون في وظائف لا يحبونها، فإن نحن وضعنا الشخص المناسب في المكان المناسب سنزيد من إنتاجية المجتمع وسنحفز على الإبداع، وبمثل ذلك تنهض الأمم ».

٣- الإحساس بالولاء العميق للوطن.. كلمة قد تبدو فضفاضة للبعض، ووالله إنها لأمرٌ جلل وليست أمراً باذخاً، ترى كيف حالنا مع الولاء والإحساس العميق بالمواطنة ؟ أنا لا ألوم أحداً هنا بل أتحدث بصوت عالٍ فقط، ضعف الولاء لدينا مشكلة كبيرة، وأعرف مؤسسات في البلاد تتناحر إداراتها لتجنب تلقي اللوم في الاجتماعات ! ولتذهب المؤسسة إلى الجحيم بعد ذلك ؟!.

«تخفيض ساعات العمل سيبطئ
عجلة التقدم ويزيد البون بيننا
وبين العالم الأول..

..باختصار مزيد من التخلف..
فاتقوا الله في بلدكم وأمتكم
يا مجلس الشورى».

@ fyzjml

أين أخطأت الطفرة ؟

لست أتحدث هنا لأزاحم المختصين، فمقالاتهم وكتبهم تفي بالغرض، ولكني أعتقد أن الطفرة أخطأت بتحويل الدولة إلى دولة ريعية أخرجت المواطن من الدكان إلى المكتب، وسيستغرق إخراجه من المكتب وقتاً. أخطأت الطفرة بتدخلها في حياة المجتمع والإلتزام بتعيين الخريجين، ما أدى إلى هذه البطالة المقنعة التي تستهلك الباب الأول من ميزانية الدولة[1] .

الحكومات نوعان: حكومة علماء، وحكومة علمية.

الأولى : كل وزير يأتي للوزارة يبدأ من الصفر بخطة جديدة وهمه أن يثبت أن الوزير السابق كان مخطئاً في سياسته.

الثانية : الوزير ينفذ خطة عليا بعيدة المدى ويكمل ما بدأه من سبقه.

---

(١) فوجئت حين دخلت إحدى الدوائر الحكومية بجيش من الموظفين المتكدسين المرحين دون عمل وهم على هيئة الموظف الحكومي منذ عقود !

كنت أتحدث مع مخرج أفلام وثائقية، فعارضني عندما قلت إننا ارتكبنا أخطاءً في الماضي، وقال لي : «لقد جبت المملكة من الجنوب إلى الشمال بدراجتي، هل تعلم كم من الكيلومترات من الأسفلت في المملكة؟».

فقلت له : من فمك أدينك !. الإسفلت ! أنا أتحدث عن الإنسان! من اهتم ببناء الإنسان في العقدين الماضيين ؟

الإنسان الذي من المفترض إعداده لكي يحافظ على هذه الكيلومترات وغيرها ؟ الإنسان المتحضر الذي يعرف كيف يقف في الطابور؟[١].

المواطن الذي يملأ مركزه كرب أسرة ويتحمل مسؤوليته تجاه أسرته ويحافظ على سلامة أبنائه النفسية والجسدية؟

على أية حال جاءت الأمطار وكشفت أن البنيان أيضاً لحق بالإنسان.

---

(١) لدينا نوع جديد من الطوابير وهو طابور «التجمهر»! حيث يتجمهر المواطنون على الموظف البائس ويتحدثون في الوقت نفسه، والغريب أن الموظف لا ينبس بكلمة ولا يأمرهم أن يقفوا في صف.

يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ؟

كانت مجموعة من البشر تعيش في الأدغال بعيداً عن الحضارة، إلى أن مرّ بهم رحالة متعلم من المدينة، وعلمهم كيف يعيشون بطريقة أفضل وبصورة صحية تقيهم الأمراض التي فتكت بهم، فتطوّر نمط عيشهم، واكتشفوا أن طريقة عيشهم كانت خاطئة، وهم لا يدرون.

إننا نمارس حياتنا اليومية بكل أريحية ولا نشعر بأننا نعيش في وادٍ بينما يعيش الآخرون في وادٍ آخر. على سبيل المثال: لي صديق مقيم في بريطانيا وفي «أكسفورد» بالتحديد. وأحببت أن أعرف، تطفلاً مني، عن ماهية إجراءات الحوادث المرورية... فردّ بعد صمت، وقد تملكته الحيرة: والله لا أذكر أني شاهدت حادثاً !

أذكر أنني كنت أقود في مدينة في بريطانيا فلاحظت علامات مثلثةً بيضاء على أرضية الطريق وصاحبتها لوحات

توضيحية ضخمة تشرح طريقة استخدام هذه المثلثات لضبط المسافة بينك وبين الشخص الذي أمامك في المركبة لتضبط نظرك عليها !

عندما جاء الإسلام حفظ للإنسان خمساً : النفس، الدين، العقل، المال، العرض . والحقيقة أننا نمارس يومياً انتهاكات كثيرة تجاهها جميعاً، من السيارات المنطلقة بجنون على جنبات الطرق السريعة وسط غياب هيبة المرور، إلى السكوت عن المفسدين، وغير ذلك من الأمور.

كانت لجنة طبية قد زارت المملكة منذ عشرين عاماً لصالح جهة أتحفظ عن ذكر اسمها، وذكرت اللجنة أن السعوديين يعانون من إشكال كبير في انضباط نومهم !

ويجدر بنا اليوم، أن نعيد النظر في حياتنا بشكل عام لتواكب ما استجدّ في هذا العالم.. نحن لم نعد نعيش في الماضي، وزمان شركات المقاولات العامة والتخليص الجمركي والخدمات العامة في مكتب واحد قد انتهى! حتى البيض الذي نضرب به المثل في سهولة الأمر «كأنه سلق بيض».. اتضح أن للبيض أصول ودرجات لينضج! وعندما كنا في «ديزني لاند» شاهدنا موظفاً يعلم موظفاً مستجداً طريقة

تفريغ القمامة دون أن يراه الزوار ودون أن تتسرب الرائحة، فلكل شيء أصول، وكان «ستيف جوبز» يتميز بحرصه على إتقان ما بداخل الحاسب كخارجه ويصر على منظره حتى ولم يره الناس[١] !

---

(١) انظر كتاب: صرح مصدر غير مسؤول ، ثامر عدنان شاكر.

مجرد تساؤل[1]

مفاجأة ! ...

هربت خادمة صديقٍ عزيز! نعم. ومع مطلع رمضان!

لك أن تتخيل سواد الصورة في عيني صديقي، ليس لسبب مباشر بشخصه الكريم.. بل لتوابع الزلزال الذي أحدثته زوجته المصون جراء غياب الخادمة.

لكن هذه التجربة كانت أفضل ما تعرضت له هذه العائلة.. قامت هذه الأسرة بإعادة ترتيب حياتها، ولجأت لمساعدة خادمة تأتيهم بنظام الزيارة الأسبوعية ولساعات معينة، ولأعمال معينة، أما الباقي فكانوا يقومون به في غيابها. واكتشفت الأسرة أنها لم تكن تعتمد على نفسها البتة، فالخادمة هي محور المنزل .. ليس في مهام المنزل الأساسية وحسب، بل وحتى في الأمور الجانبية الصغيرة في الوقت

(١) نشرت في صحيفة المدينة، الأحد ٢٥ / ٨/ ٢٠١٣.

نفسه: كأس ماء .. ملابس ملقاة على الأرض، وهلمّ جرّا.

أصبحت الأسرة تلتقي في المطبخ لإعداد وجبة مع مزيج من الألفة والجو الأسري الحميم المفقود هذه الأيام في ظل هادم اللذات ومفرق الجماعات، عنيت «وسائل التواصل الإجتماعي»! وتسنى للأب والأم معرفة تفاصيل في منزلهم كانت غائبة تماماً عنهم.

وعلى صعيد الصحة زادت الحركة لإذابة الشحوم المكتنزة في الأبدان ـ كما يحلو لصديقي أن يعلّق ـ. وعلى صعيد التربية، زاد اعتماد الأبناء على أنفسهم وإحساسهم بالمسؤولية .

ومع كامل احترامي لظروفنا المعيشية و«خصوصيتنا» .. أسأل: هل نحتاج فعلاً لهذا الكم الهائل من الخادمات ؟

ما هي مؤهلات من يدخلون بيوتنا، وماذا نعلم عنهم ؟

لقد صُعقت من منظر فوج من الخادمات القادمات من بلدٍ إفريقي، تكدسن في مدخل مطار العاصمة منذ فترة، ولا يسعني إلا أن أقول أنهنّ من أدغال تلك البلد ـ مع كامل احترامي لآدميتهنّ وحقوقهنّ.. وبدلاً من أن تتعامل معهنّ الأسر بمنتهى الحذر وتسند إليهنّ مهام محددة، إذا بنا نسند إليهنّ مهامّ جِدّ خطيرة كتربية الأطفال ؟!!

ومع زحف الحياة السريعة على مجتمعنا، وظهور جرائم كثيرة معلومة ومجهولة، أتساءل مرة أخرى: هل يمكننا إعادة التفكير في حياتنا الأسرية ونظامنا اليومي ؟ تخيلوا معي أن في كل حيّ «رياض أطفال» على مستوىً عالٍ، وتخيلوا لو كان لدينا بدلاً من ملايين الخادمات غير المدربات، عشرة آلاف مربية «إنجليزية» لتلكم الرياض؟ (مسلمات الديانة يا عزيزي)..

«من عادة التاريخ ألا يلتفت للأمم التي تغط في نومها، وإنما يتركها لأحلامها التي تطربها حينًا وتزعجها حينًا آخر».
مالك بن نبي

الرأي والرأي الآخر

أرأيت لو أن مجموعة من قاطني شقة تعوّدوا على الأخذ برأي واحد منهم ولا رأي سوى رأيه، ولا يتحدثون أبداً سوية، لأنهم تركوا له مقاليد الأمور، وذات يوم أجلستهم معاً لحل معضلة ما.. كيف سيدور الحوار بينهم ؟ بالتأكيد سيختلفون ويتفرقون في أول فرصة لأنهم لم يتعودوا يوماً على ثقافة الحوار واحترام الرأي الآخر.

يذكر الدكتور زهير السباعي لي، أنه أحب أن يتبع أسلوباً جديداً مع طلابه في كلية الطب، فلم يعطهم امتحاناً تحريريّاً، بل طلب منهم الجلوس سوية وبحث مسألة طبية معينة ومناقشتها وتدوين ذلك واقتراح حل. والمفاجأة أن الجميع لم يعرفوا كيف يتصرفون دون أسئلة مباشرة !

وواقعة أخرى، فوجئت إحدى قريباتي بطالبات الدراسات العليا في إحدى الكليات حينما كنّ يلححن على المحاضِر

بسؤال واحد كل فترة: «هذا الفصل داخل في الإختبار ؟!» .

إنها ثقافة التلقين يا عزيزي، مُلقن يتحدث لساعة متواصلة، أسئلة محدودة في حدود معينة. متلقّون يكتبون ما على اللوحة مهما تطورت أو تعددت أشكالها، والأسئلة تأتي مكررة وبطريقة معينة. لا مجال للنقاش والإبداع هنا، فمن الطبيعي أن يخرج من هذه النتائج مبتعثون ـ وهم إن شاء الله قلة ـ يعتمدون في بحوثهم على زملاء آسيويين معهم بأجر معلوم، وهذا الكلام ليس سراً ويعرفه كل من درسوا في بريطانيا أو في الدول الأُخرى، ولاحقاً ستطور هذه العملية من التدليس لتفجّر قنبلة الشهادات المزورة.

الفصل التاسع

في المياه الراكدة

معول طاش، الشقيري، والشريان

أعتقد أن أول من أمسك «معولاً» لتحطيم الأفكار البالية في المجتمع، كان المسلسل الذي تجمّع ملايين السعوديين وغيرهم حوله ٣٠ يوماً لمدة ١٨ عاماً.

واكب «طاش ما طاش» فترات مختلفة في تاريخ المملكة الحديث، ووضع يده على قضايا حساسةٍ لم يجرؤ على طرقها أحد. ومن الإنصاف القول إنه كان بصورة غير مباشرة صوت صانع القرار الذي سهل له الكثير .

بدأ المسلسل بإمكانيات بسيطة وفي ظروف صعبة وأُطُر كثيرة وضيقة من مساحة حرية الرأي، وقام بدور السيدات فيه ممثلون رجال يظهرون في صورة سيدات مكتسيات بالسواد تماشياً مع الوضع السائد في تلك الفترة. دمج المسلسل الكوميديا بالدراما، وأسس للون «الكوميديا السوداء» التي تضحك وتحزن في نفس الوقت. تحدث

المسلسل لسنوات عن تناقضات غريبة في المجتمع، وكان أول من يصرّح (حسب ظني) وبطريقة طريفة عن «الفساد» في حلقة كانت بعنوان: «مناقصة حمامات الوزارة» ، حين يتربح موظفون من مناقصة حمامات في الوزارة فيستمرون في إنشاء مزيد من الحمامات حتى يتكدس الموظفون في مكتب واحد لأن كل الوزارة أصبحت حمامات !

وفي حلقة، كانت قمة في الإبداع، تحدث المسلسل أيضاً عن فساد موظفين حاولوا جاهدين إخفاء ملف معين من الأرشيف في سباق محموم من جهتين للوصول إلى الملف أولاً، وكانت الخاتمة بغرق الجميع في غرفة الأرشيف بسبب تسرب المياه خلال عطلة نهاية الأسبوع.

وكأي شيء حديث على المجتمع حاول المسلسل أن يحدث حراكاً، فحاربه البعض بحجج بالية قد تكون حقيقة أحياناً، لكن غاب عنهم المقصد الرئيس من المسلسل. ولسنوات استمر المسلسل في تطوير نفسه بكوادر محلية غالباً، ومن الواضح أن مساحة الحرية زادت كل عام عن الذي سبقه، حتى إن السيدات حللن مكان الرجال في وقت لاحق، وتناسب لباسهن مع كل مرحلة عاشها المجتمع.

خواطر

شاب مُجدد مع مجموعة أخرى من الشباب، قاموا بعمل جميل يعبر عن آراء جيل جديد وطموحاتهم.. جابوا العالم وقطفوا أجمل الأزهار وعادوا بها إلى مجتمع متصحر.

نقل إلينا الشاب الشقيري بإيجابية ثقافة الطابور ، وحاول تعليم المصلين كيفية وضع الأحذية في مكانها أمام المسجد، انتقد غياب الأماكن المهيئة لاستقبال ذوي الإحتياجات الخاصة، وغيرها من قطوف عبر تسعة أعوام.

سافر «أحمد الشقيري» إلى الأندلس واليابان. نسي البعض أنه قصد الأندلس واتهموه أن ثقافته غربية ذات هوية غير إسلامية تارة، وبأنه غير مطابق لمواصفات العالِم الإسلامي تارة أخرى! فساير عقولهم المختطفة وسافر هذه المرة إلى ماليزيا وتركيا لينقل للمجتمع صورة حضارية ومن بلاد الإسلام مشدداً في بداية كل حلقة : «لست شيخاً ولا عالماً .. إنما هي خواطر شاب». ولعل هذا هو حال من يحاول تحريك المجتمعات الراكدة عبر التاريخ.

أثّر كثيراً في الشباب بمظهره(١) المقبول أسوة بجميع

(١) في الأثر أن أعرابياً دخل على المصطفىﷺ وصحبه الكرام فقال:«أيكم محمد؟» في إشارة إلى أن الحبيب لم يميز نفسه بهيئة أو سواها.

الناس، ولم يحاول أن يتميز عنهم بلباسٍ معين أو أسلوب كلام مختلف.

كتبت منذ سنوات: «أرجوك يا شقيري، دعنا نعش أبد الدهر بين الحفر».

الثامنة

أزاح داوود الشريان «السجادة» التي طالما دفنت تحتها مشاكلنا لعقود وسط إنكار وتدليس وإخفاء للحقائق، ودخل إلى أعماق لم يدخلها أحد في المجتمع. تحدث بكل جرأة عن عضل النساء، إنكار النسب، التحرش بالمحارم، الغش التجاري، حقيقة الرقية واستخراج الجن، حقوق الزوجات الأجنبيات[١] وغيرها من المشاكل الغريبة التي لم نسمع عنها طوال حياتنا. ومرة أخرى خرج من يشتم الشريان ويتهمه بالعمالة! والماسونية، وغيرها مما يصلنا من «غثاء الواتسأب»! بدل شكره على مجهوداته هو وزملائه .

كلمات تستحق التأمل :
«قاموا بصعق سيدة في القصيم بتيار عالي لإخراج الجني منها .. فتوفيت على الفور». برنامج الثامنة

---

(١) سيدات أمريكيات ذكرن أن أزواجهم السعوديين كانوا في قمة اللطف والإنفتاح عندما عاشوا سوياً في الولايات المتحدة ، لكنه تغيروا تماماً بعد عودتهم إلى المملكة، وعاملوهنّ بغلظة وريبة !.

الفصل العاشر

مشاكلنا ومسبباتها

بالنسبة للإحصائيات[1] .. تفضل

١ - مرض السكري :

بحسب الاتحاد العالمي لمرض السكري، فإن السعودية تحتل المركز الثاني عالمياً بنسبة الإصابة بمرض السكري، وهو ما يهدد نحو أربعة ملايين شخص في المملكة. وتشهد المملكة تزايداً مطرداً في نسبة الإصابة بالسكري، حيث أشارت إحصائيات العام ١٩٨٨م إلى إصابة ٤٪ فقط من سكان المملكة في السعودية، لترتفع هذه النسبة بشكل مطرد خلال الأعوام السابقة، وصولاً إلى تقديرات اليوم.

٢ - الطلاق :

تحتل المملكة المركز الأول خليجياً وعربياً: «كشفت وزارة العدل أن مجموع حالات الطلاق الواردة إلى محاكم المملكة العام الماضي بلغت ٩٢٣٣ حالة، مقابل ٧٠٧ حالات زواج في الفترة نفسها، وذلك بمعدل ٢٥ حالة طلاق مقابل كل

---

(١) هذه الإحصائيات تعود إلى العام ٢٠١٢ م.

زواج يومياً.

كما ورد إلى المحاكم ٨٧٦١ دعوى فسخ نكاح خلال عام واحد . صحيفة المدينة

٣- السمنة بين السيدات :

تصل نسبة السمنة لدى السيدات في المجتمع السعودي إلى قرابة ٦٠٪

٤- الترتيب في منظمة الشفافية :

تحتل المملكة المركز رقم ٨٠ .

٥- تصنيف المنتخب السعودي لكرة القدم من عام ١٩٩٤-٢٠١٢

٢٧-٥٤-٣٧-٣٣-٣٠-٣٩-٣٦-٣١-٣٨-٢٨-

٣٣-٢٨-٣٣-٦٤-٦١-٤٨-٦٣-٨٠-٩٦-١٢٦

(المصدر: موقع الفيفا الرسمي)

٦- الموقع حسب الدول الأكثر محافظة على البيئة:

المركز ٨٢ (جامعة ييل).

٧- التحرش الجنسي:

في أسبانيا ٦٪، ألمانيا ٥٪، بريطانيا ٤٪، المملكة العربية السعودية: ١٦٪ . (رويترز)

إستشهاد

مقال للمبتعث هاني باحويرث

شكراً بريطانيا

لأن للانسان البريطاني وكل من يسكن على أرض بريطانيا قيمة، فإن سيارات الإسعاف والمطافي والشرطة تمشط الشوارع بسرعة البرق وصوت الرعد وسط احترام الجميع .. فتجد السيارات تصطف اصطفافاً على الأرصفة... والشارع يستجيب في الحال حتى تمر تلك الفرقة التي يتمتع أصحابها باللياقة العالية ... ووصف عنوان الحادث لا يتعدى الثواني. لا تحتاج سوى رقم المنزل والشارع ... واترك الباقي لهم ...

شكراً بريطانيا

شكراً لأني بدأت أتمتع بشعور الإنسان ... لا أحمل معي سوى وجعي إذا زرت المركز الصحي، فهم لا يعرفون ديني و لا جنسيتي و لا مذهبي و لا لوني و لا كفيلي، ولكن يعرفون أهم من

هذا كله أني إنسان وإنسان فقط.

شكراً بريطانيا

لأني لا أحمل هوية في جيبي لمدة ثلاث سنوات ... ولم يوقفني عسكري ... ولم يترصّد بي رجل مرور ... ولم يجرح شعوري مسؤول

شكراً بريطانيا

لأني كل يوم أسمع كلمة تفضل ... لو سمحت ... سوري Surry ... هل من الممكن؟

شكراً بريطانيا

لأن ولدي له اشتراك في مكتبة مليئة بقصص الأطفال المناسبة لعمره، وجدول مناسب ليومه، بدءاً من جلسة قصص إلى جلسة ألعاب.. وهو لا يتعدى السنة.

شكراً بريطانيا

لأن زوجتي وابني يزوران المركز الصحي من غير أوراق وهوية وتحويل وطابور ... شكراً لعاملة الاستقبال التي تحول زوجتي إلى طبيبة وليس إلى طبيب لأنها تعرف أنها مسلمة ولا يجوز لها في دينها أن تتكشف أمام طبيب رجل وهي تفعل ذلك تلقائيّاً.

شكراً بريطانيا

لأن أسعار منتجات الأطفال رخيصة مقارنة بالمنتجات الأخرى وأفضل، وهي دائماً تحت رقابة شديدة في مكوناتها ... لأنه طفل وحساس فإن حليب الأطفال لا توجد فيه نسبة السكريات الموجودة في نوع آخر كنت أشربه وأنا صغير.

شكراً بريطانيا

لأني أخرج وأدخل وأمشي ... ولا أسمع ضوضاء ومناظرات ومطبات وحفر ومشاجرات ... فرجلي تتزحلق وهي حافية فكيف بمن يسوق السيارة.

شكراً بريطانيا

لأني كشفت على عيني بعد أن مرّ الفحص بثلاثة أطباء ولم أتكلف سوى عشرة باوندات، وأول سؤال سألني إياه الطبيب: أين كشفت على نظارتك المرة السابقة؟ فقلت له: في مكان بعيد ... فقال: إن استطعت فلا تكشف في المكان البعيد...فقلت في نفسي: سامحك الله يا دكتور فلان.

شكراً لجاري العزيز

ذو الأخلاق الرائعة والذي يأخذ البريد من باب العمارة ليضعه أمام باب شقتي يومياً، بل ويعرض عليّ أن أترك ابني عنده إن أردت أن أتعشى أنا وزوجتي في الخارج ...فهو يريد

أن يتطوع.

شكراً للبروفيسورة

ذات التعامل والانضباط العالي ... فهي تذكرني بموعد اجتماعنا، وتلخص لي محاور اجتماعنا، وتطبع لي الورقة وتضعها في بريدي. وتعدت أخلاقها إلى أن أرسلت لي ورداً بمناسبة قدوم ابني.

وشكراً لعامل الكلية

لأنه يسمعني كل يوم عبارة: تفضل سيدي .

وشكراً لمسؤولة المكتبة.

لأنها تترك ما بيدها وتبحث معي عن ما أريد، ثم تتأسف عن تأخرها.

شكراً للشباب البريطاني

لأنهم لم يرمقوا زوجتي بنظرة ولا برقم ولا كلمة، بل على العكس هي محل احترام ومساعدة.

شكراً شكراً شكراً، لأني تعلمت ديني الذي فقدته وأنا طفل وأنا شاب، وكتب الله لي أن أتعلمه ليس من بطون الكتب ولا الدورات الشرعية ولا الجلسات العلمية ولا برامج التلفاز الدينية .

بل واقع يفرضه المجتمع والجميع، بداية من مدرس الروضة، إلى سائق الباص، إلى عامل الشارع، إلى رئيس الوزراء.

هذا ما شهدته شخصياً...

قد تتفق معي أو تختلف، وأنا أعرف أن أصابع يديك ليست سواء، ولكن هذه الحقيقة التي رأيتها بأمّ عيني.

شكراً شكراً بريطانيا.

لا تخف عليّ لأني ما زلت مسلماً وعربياً أكثر ومن أمة محمد، وسأكون كذلك أبد الآبدين، إن شاء الله.

هاني باحويرث

بريستول ... بريطانيا

«دولٌ إسلامية جعلت الإسلام دستورها ولم تطبقه، ودول غربية جعلت العقل دستورها وطبقته، فجاءت أجيال أساءت الظن بالإسلام وأحسنت الظن بالعقل».

عبد العزيز الطريفي

@abdulaziztarefe

داء اسمه الواسطة

ولنا في الواسطة باعٌ وذراع، فقد أسس الجهاز البيروقراطي في سنوات العتمة لثقافة الواسطة، وبتنا كمجموعاتٍ متفرقة من «الماسونيين»، يسدي بعضهم لبعض خدماتٍ بمنأى عن القانون الصارم والمرهق أحياناً للمواطنين البسطاء المهمّشين. وتبدأ العملية بسؤال لأحد أفراد هذه المجموعة، كأن يقال : «من لنا في الجهة الفلانية ؟». أو: «هل تعرف أحداً؟» مما حذا بأحد المواطنين المهمّشين البسطاء الذين غُلقت بوجوههم أبواب الإدارات المنزوعة الرحمة، فأنشد قصيدة تدمي الفؤاد بعنوان : «تعرف أحد؟»

وللواسطة في ما يعشقون مذاهبُ :

أ) **أفخر أنواعها:** حيث يقوم مسؤول أو من ينوب عنه بالاتصال بجهة ما، آمراً القائم عليها بتسهيل أمرٍ ما، له أو لأحد من أحبائه المغلوبين على أمرهم، وفي هذه الحالة لا

يملك القائم إلا أن يُذعن ويلبّي دون انتظار لخدمة في المقابل إذ يكفيه نظر المسؤول له بعين الرضا[١].

ب) **الوساطات المتبادلة** : اخدمني وسأؤدي لك خدمة مجهولة في وقتٍ غير معلوم ، وعادةً ما يتصل الشخص الخادم بالمخدوم ليبشره بانتهاء المهمة! ومُنمقاً لما قام به من عمل، وأنه مرّ بصعوباتٍ ومخاطر، لكنه آثر أن ينفذ وعده للمخدوم، ومؤكداْ ضمنيّاً على أنه سيأتيه قريباً في طلب خدمة مقابلة.

ج) **الواسطة بالمصادفة** : كأن يزور شخصاً منشأة خدمية، فيتعرف على الموظف صاحب المعاملة ويعرف من اسم أسرته أنه قريب لفلان صديقه أو قريب لأحد أصهاره، وهكذا. أو أن يلمح الموظف شخصاً في الطابور يكون قد شاهده الأسبوع الماضي في أحد أمسيات «البلوت» فيتبادلان الابتسامة، ويصبح من الضروري أن يخدمه حتى لا يكون منظر الموظف قبيحاً أمام زملائه.

د) **الواسطة المحمودة**: وسط أمواج البيروقراطية المتلاطمة يضطر أناسٌ لهم علاقات هنا وهناك لإسداء خدمة إلى إنسان

---

(١) بلغ ببعض المراجعين الجرأة في أن يهدد مدير القسم بقوله: «تبينا نجيبها من فوق.. نجيبها»!

مهمّش أو تشغيل فقير، وهكذا.

يا سادة... نحن نغرق في الفساد.

هـ) **واسطة التعيين** : وهي النكبة الكبرى، فبها يرفع من لا يستحق ... فيعمل بتراخٍ ولا مبالاة لثقته بوضعه، ويتجمد من يستحق ... فينتهي به الأمر إلى الإحباط والفشل.

« من _ حسنات _ تويتر أنه أعاد الدور الرقابي للمجتمع، وأتاح له المشاركة في صنع القرار».
@MetebQ 6

العقار لا يأكل ولا يشرب
.... يقتل

عندما عاد د. وليد فتيحي من الولايات المتحدة مسلحاً بالعلم والخبرة ليخدم بلاده وينشىء صرحاً طبيّاً على مستوى عالمي، قال له أحد رجال الأعمال: «ضع مبادئك جانباً وتقبّل الواقع». وبعدما أسهب له في شرح نظرية «السمك الكبير والصغير»، وصل إلى مقولة خطيرة: «هذه الثلاثمائة مليون التي ستصدع رأسك بها ثم تعود عليك بعشرة في المائة على أحسن الأحوال... أستطيع مضاعفتها لك في عامين! ». وهذا يفسر عدم إنشاء مستشفىً حديث في مدينة مثل جدة لأكثر من خمسة عشر عاماً !

في غياب تنظيم عقاري صارم وعدم وجود أوعية استثمارية، سيظل العقار الملجأ الوحيد للتجار والسيدات والمستثمرين والمضاربين، وكم يؤثر ذلك على اقتصاد البلاد

بطريقة كارثية:

١- إنتشار الأراضي «البيضاء» في وسط المدن، فيشح المعروض وترتفع الأسعار، ويجبر الشباب على السكنى في أطراف المدن وفي مواقع تفتقر إلى الخدمات.

٢- ارتفاع أسعار العقار سيؤدي إلى ارتفاع أسعار كل شيء: من المدارس للإيجارات، وهكذا.

٣- تعطل التنمية والمشاريع الأهلية والخاصة، بسبب جدوى الاستثمار في العقار مقابل الخيارات الأخرى.

«البناء بعد الخراب أشرف من تشققات في هياكل نـــرقعها بالرياء والتعامي !! .. بعض الهدم للبناء الحق أصل».

محمد المختار الشنقيطي

الفصل الحادي عشر

السعودة

الملك عبد العزيز ضد السعودة [1] !؟

بعد أن وحّد الملك عبد العزيز ـ مؤسس الدولة السعودية الثالثة ـ المملكة، أحاط نفسه بمستشارين من جميع الجنسيات العربية من ذوي الخبرة والكفاءة لكي يشكلوا نواة تأسيس الدولة الناشئة، وأذكر على سبيل المثال العراقي: عبد الله الدملوجي، والسوري: يوسف ياسين، والمصري: حافظ وهبة، واللبناني: فؤاد حمزة، والليبي: خالد أبو الوليد، والتونسي: بشير السعداوي، والفلسطيني: رشدي ملحس. ومن هنا نرى أن الرجل رغم بلوغ العصبية القبلية أوجها في تلك الأيام ، فقد آثر أن يستفيد من خبرات هؤلاء الرجالات ويسند الأمر إلى أهله .

لعل أول مأخذ على السعودة – رغم أهميتها – هي فرضها بالقوة وبالطريقة الخاطئة على القطاع الخاص بالذات، فما الذي يجعلني ـ كصاحب عمل ـ أستغني عن موظف من

(١) نشرت في صحيفة المدينة، الأحد ١٦ / ٦/ ٢٠١٣.

دولة في شبه القارة الهندية، يتحدث الإنجليزية بطلاقة ويجيد كتابتها، ويتقن استخدام الحاسب بجميع برامجه المكتبية، ويحضر يومياً باكراً في نفس الموعد، ويندر أن يستأذن بحجة ظرف أسري أو غيره، وأخيراً يتقاضى الألفين وخمسمائة ريال وهو في غاية الرضا والسرور !

في المقابل (وأستثني الكثيرين) أن أوظف مواطناً لا يتقن الإنجليزية، قد يتقن الحاسب، يحضر متأخراً، يستأذن يومياً لتوصيل الأبناء ولا ينهي العمل المطلوب وينصرف باكراً، مقابل خمسة أو ستة آلاف ريال !؟ ثم لا يلبث أن يكمل ستة أشهر بعد التدريب حتى ينصرف باحثاً عن وظيفة أخرى. الكل يؤمن بالكلمة الشهيرة «مخرجات التعليم لا تناسب سوق العمل»، ولا بدّ من حزمة حلول بعضها للمدى القصير والآخر للبعيد .

الحقيقة أننا نقف أمام نموذجين من الدول، الصين وأمريكا، إما أن ننغلق على أنفسنا ونشغل الوظائف والمهن جميعاً بأبناء جلدتنا، وأشك بأننا نستطيع عمل ذلك[1]،

---

(١) الغريب أننا نستنجد بشركات كورية وصينية بعد وقوع الكوارث وتدارك تبعاتها وبتنا ندخلها في صورة مسميات «كونسورتيوم، تحالف» وغيرها من المسميات المضللة!.

لغياب (know how)، لدينا في كثير من الحرف كسعوديين، أو أن نعترف أننا بحاجة لتطعيم المجتمع بكفاءات تشاركنا بناء الوطن. لقد كانت للإخوة العرب على وجه الخصوص أيادٍ بيضاء على تعليمنا في المدارس والجامعات ، وكان لقرار استبدالهم بغير ذوي الكفاءة من المواطنين بالغ الأثر على نتاج التعليم في السنوات العشر الأخيرة ، مما بوّأ المملكة مركزاً بعد العاشر على صعيد الدول العربية الأفضل تعليماً !

هناك أسئلة مهمة قد يستطيع علماء الإجتماع[١] والسلوك معرفة إجابة لها، كيف يمكننا زرع الولاء في الشاب السعودي؟ وكيف يصبح المواطن حريصاً على لقمة عيشه؟

«مؤلم جدًا أن يكون الفرق بين الأمس واليوم هو التاريخ فقط» ...

(١) نحن بحاجة لجيش من علماء الإجتماع لتحليل و توصيف وحل مشكلات كثيرة بدأت تطفو في المجتمع، بدلاً من تخريج أفواج من كليات لا أعرف إلى الآن سبباً لوجودها كعلوم البحار و الجيولوجيا!

العمالة المتوجسة

فرضت قوانين الكفيل والترحيل علاقة غير سوية بين العامل ووطننا، وخلقت أيضاً تجارةً خفية موازية تقدر بالمليارات، هذا العامل الذي نحتاجه من جهة، وفي نفس الوقت نشعره بأنه مؤقت وقابل للترحيل من جهة أخرى! فهو تارةً يخشى تهديد الكفيل الذي غالباً ما يعمل في مكان بعيد عنه ويباغته كل فترة بطلبات ومبالغ لتجديد الإقامة وغيرها من الأتاوات، وتارةً يخشى الترحيل لعدم حصوله على إقامة دائمة مهما أمضى من سنين.

هذه العلاقة المضطربة لم تجلب لنا إلا العمالة الرديئة (مع كامل احترامي لآدميتهم)، التي تبعث بأموالها للخارج أولاً بأول، لأن العامل الجيد يريد الشعور بالأمان والاستقرار ثم الإدخار ثم الولاء لهذه البلاد.

التقيت مصادفةً بمدير موارد بشرية لإحدى شركات

الطعام الكبرى وقال لي: إن من يأتون للمملكة من العمالة هم «نخب ثانٍ» وأحياناً ثالث، النخب الأفضل يذهبون إلى دول خليجية مجاورة لظروف العمل الأفضل والرواتب المجزية، ومن هناك قد يذهبون إلى أوروبا وأمريكا، أما من شاء حظه العاثر أن يقوده إلينا فيقال له : ستأخذ المرتب الفلاني الضعيف ... ولكنك تستطيع بيع بطاقات هاتفية وسجائر وستحقق ضعف راتبك !

لي جاران ... أحدهما مواطن[1]

تنويه :
«المواطنـــون الشرفاء كثـــر، ولكن القصة القادمة واقعية والمعنى في بطن الشاعر».

٦ شارع الحمد،

لي جاران .. أحدهما مواطن .. أبو سعيد .. وأبو هشام ..

أبو سعيد مواطن بالوراثة، وأبو هشام قدم من الشام منذ أربعين عاماً.. وإلى الآن يحتفظ باسم الوافد ..

لا أعرف لأبي سعيد مهنة معينة .. فهو راكب لموجة الوقت وتجارة الساعة ..

أما أبو هشام فقد أفنى حياته معلماً هو وزجته لأبناء هذا الوطن..

يقطن أبو سعيد في بناية من ثلاثة طوابق، من ست شقق،

---

(١) نشرت في صحيفة المدينة، الإثنين ٨ / ٤/ ٢٠١٣.

ومع الإقبال على العقار، قسّم كل شقة إلى اثنتين وأجّرها لوافدين، جلّهم غير نظاميين .. أما أبو هشام فيقطن في منزل متواضع مستأجراً، همه الأول تربية أبنائه وتعليمهم ..

أبناء أبو سعيد تعلموا مجاناً، والتحفوا بعد أبيهم عباءة التجارة، بقالتان وحلاق باسم كلٍّ منهما يتصرف فيها بائع من شبه القارة الهندية ويعطيهما أجراً ..وهشام وإخوته تعلموا في الخاص، وما لبثوا إلا أن التحقوا ببعثة إلى كندا لتفوقهم ..

أبو هشام لا يعرف وطناً غير هذا الوطن، لم يشكُ من تجديد إقامته، ولا بإذن التنقل في أرجاء الوطن، يمشي حسب القوانين .. لكن لا أمل له في تصحيح وضعه .. سمحت له الظروف أن يقدم على أوراق الإقامة الدائمة في كندا، ثم الجنسية .

الغريب أنه ما زال يحب هذه البلاد، وعاد هو وأبناؤه للعمل هنا من جديد.

لي جاران: أحدهما يستحق الوطن.

إستشهاد بمقال لخالد الفاضلي[1]

«يقول الدين لا، تقول القبيلة لا، تقول الرجولة لا، لا، لا للرشوة، لكنها أصبحت جزءاً أساسياً من الدخل الرئيس عند عدد كبير، وتم تحويلها من «عيب مخزٍ» إلى فروسية يمارسها «الأشاوس» وأسود المجتمع.

تدنى سعوديون كثر في سلم الشهامة، وارتفعوا في سلم الابتزاز، فالشهادات بالآلاف. لكل مدينة ضحاياها من أصحاب المؤسسات الصغيرة، والعمالة الأجنبية، بينما تتأرجح «بورصة الرشوة» من ملايين إلى عشرات من الريالات.

أصبح كسر القانون «سلعة رخيصة» أكثر نفعاً من راتب. وتحولت غالبية «الكراسي» إلى أداة شفط محافظ العابرين في دهاليز تنتهي بتوقيع، فتكاثر محدثو النعم على جيفة الرشوة،

---

(١) أبناء آوى- الحياة ١١ إبريل ٢٠١٢.

وكذلك تعددت أساليب «بني أوى» في إخفاء أثر الرشوة، لدرجة أن أحدهم يذهب إلى العمل بسيارة «مهربدة»، و«يكشخ» مساء بسيارة فاخرة.

يقتات المرتشون على ثقوب في الأنظمة، ولن تفلح القوانين في ردعهم. حياكة رداء قانوني جديد كفيل بتقليص ممارساتهم، لكن بكل تأكيد إلغاء كثير من قوانيننا القديمة يمنح أوقاتاً صعبة لكثير من قدماء اللاعبين، منابر الجمعة، لم تكن سياجاً.

يرصد الشارع السعودي يومياً قدرات خارقة لمكاتب وسطاء متخصصين في دك تعقيدات معاملات، ويشتهرون بقدرتهم على شراء ذمم موظفين يرفضون المعاملة المقدمة بيد مواطن ويقبلونها من أبواب خلفية، بينما الراشي والمرتشي والوسيط يتشاركون في دخول «مصلى» الإدارة الحكومية.

طاح ماء وجوه رجال من قبائل أو عائلات، باتوا باعة على أرصفة الرشوة، وقام من سباته ورد أرصدة بنكية لموظفين صغار وكبار، فلا يخجل «ابن أوى» من مدّ لسانه لهاثاً في وجه سيدة من أجل رشوة بعشرات الآلاف من الريالات مقابل توقيع موافقته، بينما لا يرفع بصره لرؤية دمعها المنهمر

لأن النظر في وجه سيدة يعتبر معصية.

تحقق أجنحة في وزارات الخدمات - في عموم الوطن العربي - أكثر نقاط في سباق «الارتشاء»، بيوت «للرشوة» كبيرة جداً، ينقصها رايات حمر. يكتبون أنظمة جديدة كل صباح من أجل توسيع دائرة منطقة الصيد.

الفصل الثاني عشر

عن أخلاقياتنا الحميدة

شطر التديّن [1]

قال الإمام مالك بن أنس:
«كانت أمي تعمّمني وتقول لي:
اذهب إلى ربيعة، فتعَلّم من أدبه
قبل علمه».

مشهد:

الإمام يدعو القنوت بصوتٍ خاشع بعد أن وصل إلى: «اللهم انقلنا من ضيق اللحود ومراتع الدود، إلى جنّاتك جنّات الخلود، يا عفوّ يا ودود... »

وارتفعت أصوات المصلين بالبكاء الشديد والعويل، وعيونهم تذرف الدموع ..

ما إن سلّم الإمام وانتهت شرائع الصلاة، حتى خرج

(١) نشرت في صحيفة المدينة، الأحد ١٤ / ٧/ ٢٠١٣.
كتبت بذرة هذا المقال قبل ١١ سبتمبر، من مشاهدات عدة قد لا تنطبق اليوم بذات الزخم.

المصلون زرافاتٍ من بابٍ واحد. الصورة عشوائية في الخروج، الأحذية مقذوفة هنا وهناك. ركب كلٌّ سيارته، واحدة فوق رصيف المشاة، الأخرى كانت تسد جراج بيت خاص، وواحدة تسدّ الشارع تماماً، والجميع سعيدٌ بالاجتهاد بالعمل، والبعض يتمتم بأذكار الفراغ من الصلاة، ثم ينطلق الجميع للخروج من نفس الشارع، الأولوية للجميع الذين سرعان ما ينطلقون بسرعة جنونية بين الطرقات للحاق بالسحور. وتبدو السلوكيات في الميادين في انحطاط، وكأننا بلد بلا دين، أو دين بلا متدينين؟

ربّاه.. ماذا حدث ؟ من هؤلاء الناس في الداخل؟ ومن هؤلاء في الخارج؟ لماذا يزداد التديُّن.. وتنحطّ الأخلاق ؟.

الكل يعلم أننا جميعاً نذهب لصلاة الجمعة عن بكرة أبينا، وأكثر من سبعين بالمائة يذهبون إلى مسجد مرة واحدة يومياً، ونسبة أخرى تبقى بعد الصلاة لسماع الدروس. أبناؤنا يدرسون خمس مواد على الأقل طيلة حياتهم، ويبدأون الإذاعة الصباحية بآيٍ من الذكر الحكيم.

العلماء يطلّون علينا من جميع الفضائيات، وأحياناً نصطحبهم معنا للحجّ، نسألهم في كل شاردة، صغيرةً كانت

أم كبيرة. نفس الأسئلة كل عام : قطرة العين، هل تفطر؟ هل تجوز العباءة الفلانية ؟ هاتفي الجوّال يحمل المصحف.. فهل أدخل به لبيت الخلاء !؟

أجواء رمضان تتم في جوٍّ من الإعلان والصخب، كأن الناس تريد أن تثبت لنفسها أنها في منتهى الصلاح، الكل يسأل عن المسجد الذي تصلّي فيه[١].

تصاب المطارات بشلل وقت الإفطار في رمضان والبرج في أحد المطارات لا يرد على الطائرة إلا بعد عدة مرات، والشوارع تصبح حلبة سباق تراجيدي يتناسب عكسياً مع اقتراب موعد الأذان، الشجار على أشده لشراء الفول.

طوال حياتي دخلت عدة كتابات عدل شاهداً، بائعاً، شارياً، ووكيلاً.. على كتّاب عدل تطول لحاهم وتقصر ثيابهم ولكن وجوههم ترهقها قترة، وما إن يفرغ أحدهم حتى يلقي بطاقة الهوية على سطح المكتب رمياً، ومن عشرات المرات لم

---

(١) أعرف صديقاً لم يذهب لصلاة التراويح كتحصيل حاصل ، لأنه أحس بأنه يجب أن يذهب مخلصاً للنية، وذهب بعد أيام فوصف لي شعوره كم هو جميل أن تصلي لوجه الله فقط وتشعر بذلك من أعماقك! لا ليقال جاء فلان اليوم أم لم يأتِ ، ولا مناص إلا أن تقول أنك فعلاً صليت هنا أو هناك .. أما أن تذكر صراحةً أنك لم تصلّ لارتباطك بعملك أو لعذرٍ آخر.. فستحرقك نظرةٌ قصيرة مع بعض الصمت، فتصبح العلاقة بين العبد وربه أفقية بدلاً من أن تكون رأسية (جلال عامر).

يقل لنا أحدٌ بورك لكم البيع، إلا واحداً ما زلت أذكره.

غريب هذا السلوك؟ تضاربٌ عجيب، أو تناقض، عزلٌ للفرائض والسنن عن ديدن الحياة والسلوك..

الجميع يهبّ تاركاً العمل قبل صلاة الظهر بساعة تاركاً جمهوراً من المراجعين يتوسلون إليه، وسرعان ما ينهمك الموظف بتلك الجملة الحمراء مع بعضٍ من فرصعة العينين: ما أصلّي؟؟! فسرعان ما تعود أدراجك قبل أن تتّهم في عقيدتك، وهذا دارج.

ولا يقول أغلبنا لشيء إني فاعلٌ ذلك غداً إلاّ أن يشاء الله، حتى فهمها زملاؤنا الخواجات على أنها وسيلة تسويف.

الكثيرون منا يعقدون نكاحهم في بيت الله الحرام، على آيات القرآن ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾. ثم لا يلبث البعض الكثير إلا أن يظلم زوجته وأبناءه وقد يلقي بأمهم في الشارع ويذرها كالمعلقة دون حقوق في نسيانٍ تام للفضل بينهم.

رجل أعمال يصرّ على ثلاث تمرات أو خمس .. أو سبع.. وعماله في البناء يركبون (دون تكييف في لهيب أيلول) حافلة متهالكة هي من مخلفات مدرسة في ولاية «داكوتا» ولم يتسلموا رواتب الشهور الستة الماضية.

مشهد:

- إنتي مين يا ست إنتي؟
- ينيّلك! ما عرفتنيش يا مضروب! أنا بديعة الشغالة!
- ومالك عاملة في نفسك كدا ليه (النقاب)؟
- إلتزمت يا خويا.
- ولسانك مالتزمش ليه ؟؟!.

إنها ظاهرة التديّن البديل يا عزيزي، أو التدين المريح.

أصبح التديّن عند الكثيرين يبدأ وينتهي بالعبادات، متناسين إعمار الأرض والخلق الحسن وأخلاقيات التعامل، وهو فهم قاصر ومعيب، والله في غنىً عنّا، وإنما فرض علينا الصلاة لتنهانا عن الفحشاء والمنكر .. والبغي.

ورُبّ معصية أورثت صاحبها ذلاًّ وانكساراً خير من طاعة أورثت عزّاً واستكباراً.

«في البلاد العربية يلقاك غالب العرب بوجوه عليهـا غبرة عابسـة، من حزن وكِبر وطفشٍ وزهق ونزق وقلق.

ضقنا بأنفسنا وبالناس وبالحياة، لذلك تجد في غالب سياراتنا عُصي وهراوات لوقت الحاجة وساعة المنازلة والاختلاف مع الآخرين».

عايض القرني

بصحبة وزير الخارجية

ترى ... من قال إن علاقات التعارف التي تحصل في الطائرة عادة ما تتسم بالحميمية ؟

جمعتنا الظروف في ذلك اليوم بالسيد محمد كامل عمرو وزير الخارجية المصري، وكان مسافراً على طائرتنا إلى القاهرة بعد قمةٍ عقدت في المملكة. الحقيقة أن الرجل أذهلني بتواضعه وأدبه الجم. وقام بزيارتنا في قمرة القيادة ونحن ما زلنا على الأرض ومرة أخرى بعد الهبوط، وكان يستخدم مصطلحات اللياقة مثل : حضرتك، يا فندم .. إلخ. ولأنني سلمت عليه حال دخولي الطائرة ولمحت سفيراً «خليجيّاً»، ومن باب الذوق قمت بالاقتراب منه للسلام عليه، وليتني لم أفعل .. استقبلني بوجه أدق ما يمكن أن أقول عنه إنه جامد الملامح ويتوقع مني أن أقدم له «معروضاً» أو طلباً!. ذكرت فوراً خالي الذي قال مرة : «الفلوس.. تعنطز (أي تجعل المرء متكبراً).. ونحن، عنطزتنا الطفرة» .

« سيدي الفاضل »،

من زار الولايات المتحدة يعلم أنك لو التقيت من باب المصادفة بشخص لا تعرفه في ردهة أو مصعدٍ مثلاً فإنه من المحتم أن يومئ برأسه مبتسماً ابتسامة خفيفة (أفشوا السلام بينكم). ولقد التقيت برجل في معرض أثاثٍ في الولايات المتحدة وتسرعت بسؤاله عن الشركة فرحب بي وأخذني بجولة في المعرض ثم اعتذر لي بشدة عن انشغاله، وسلمني لمسؤول مبيعات هناك.. وتبين لاحقاً أنه الرئيس التنفيذي لأكبر شركة أثاث هناك! ينقص بعض مسؤولينا بعض جرعات من «الإتيكيت»: لو أعطاك أحد كرته فبادله بكرتك.. قم لمن يسلم عليك .. إلخ .

في كتابه: معضلة الملايو.. وصف ماهاتير محمد الشعب الماليزي بأنه كسول وبأوصاف أخرى.. وأنا أقول اليوم أننا ـ بشكل عام ـ شعب قليل الإبتسامة كثير الوجوم، يعتقد أنه أسمى من هذا وذاك، ويوم القيامة يسأل ربنا: أين الجبارون والمتكبرون ؟ ومن تواضع لله رفعه.

عن العنصرية المقيتة

«تحتقر العرب المقيمين، وتهين العمال
الآسيويين. وتستلم راتباً دون جهد،
وتخرق نظاماً وتدمر ملكاً عامّاً.
ثم تشكر الله على دينك! ما دينك؟

عيسى العيسى

عندما كنّا صغاراً، كنّا نسمع في الحيّ كلمات مثل: «بكس»- «فلس» - «جاوا» .. وهي مرادفات للجنسيات باكستان وفلسطين وإندونيسيا !

العنصرية سلوك يومي تخطى العالمية وبتنا نمارسه محلياً. فلان مائة وعشرة، وفلان مائتان وعشرون! حتى قال الكاتب الكبير «محمد الرطيان: أحياناً أشك أننا لسنا أناساً بل عدادات كهرب!».

ثم أطلّت علينا ـ بسبب ظروف المنطقة الطائفية المقيتة ـ بموضوع السنة والشيعة.

بينما كنت في باريس، سألني سائق التاكسي: هل أنت شيعي أم سنّي؟ ثم قال لي بعد ارتياح : «بلّغ سلامي للرّسول، وقل له: مصطفى الجزائري يبلغك السلام».

ومن قلة أدب وخبرة بعض الناس عند سفرهم للخارج، أن يسألوا مضيفة المطعم عن أصلها أو جنسيتها من أول حديث بينهم، وهو سؤال يأتي في الغرب بعد «الاستئناس» الذي هو موجود في الإسلام أصلاً .

الله أكبر... توقّف ... ما دينك !!؟؟

كنت أركب حافلة في إسطنبول بصحبة صديق، وبينما كنّا نتحدث قال : يبدو أن هذه التي أمامنا «شيعية»!

وحينما ترجلت السيدة ذات اللباس الأسود من الحافلة رمقتنا بنظرة جليدية مؤسفة، وعندما دخلت مع الشخص نفسه للصلاة في جامع بجوار سوق «البهارات»، قال مفرصعاً عينيه: «لا أريد الصلاة خلف شخص شيعي»!

من حقّ كل إنسان التصرف كما يشاء، وأن يصلّي مع من يشاء، لكن أن يصيبه «هوس» العنصرية والتميز وكراهية الغير وجرح مشاعرهم، فهذا الذي لم أجده في سلوك أبي القاسم.

كنت أتحدث مع أحد وجهاء المدينة، فجلس يذكر لي أن مهنة الزراعة تميز بها إخواننا الشيعة فسموا بالنخليين، وكانت منتجاتهم عالية الجودة، وكان منهم القصابون والطباخون .. إلى آخر حديثه. وجلست أنتظر الجانب الدموي في القصة !

وإذا ما كانوا يؤذون أحداً أو شيئاً من هذا القبيل، فقال إنه لم يرد عليه أمر كهذا في حياته الطويلة في المدينة. فتساءلت: لم لا تردنا مثل هذه القصص الواقعية بدلاً من تبادل قصص الغل والحقد؟

ربما هذا الانشغال بغيرنا أدّى إلى إعراضنا عن الجد والعمل، وربما يكون العكس. إن قعودنا عن العمل و «دنو الهمّة» هو الذي أعطانا وقتاً لهذه السفاسف التي نُهينا عنها لأنها منتنة.

«سألته أن لا يظهر على أمتي غيرها فأعطاني، وسألته أن لا يهلكها بالسنين، فأعطاني؛ وسألته أن لا يجعل بأسها بينها، فمنعني».
حديث شريف

قنبلة الشهادات

فجأة انفجرت قنبلة الشهادات. فضائح لحملة شهادات وهميّة بالعشرات ... وانهالت شبكات التواصل عليهم بالتشهير..

ومع اقتناعي التام أنها جريمة تدليس، لكنني من باب تجفيف منابع الخلل أطرح سؤالاً لم يطرحه أحد : لماذا فعل هؤلاء ما فعلوا؟

إنها الأيديولوجيا السائدة في مناخنا يا عزيزي .. فأنت كإنسان لا تقاس بشخصيتك، ولا بما تقرأ، ولا بحجم معلوماتك، ولا بمدى قدرتك على التعلم، ولا بإخلاصك.. وأهم شيء نظافة اليد والنزاهة.

في الشركات الكبرى في اليابان ودول شمال أوروبا وحتى في الولايات المتحدة تأتي الشهادة رقم اثنين أو ثلاثة في ترتيب أولويات المنشأة !

إلاّ أن الوضع عندنا هو شهادتك ومن بعدها الطوفان. وهي أول ما يسأل عنه المرء في المقابلة، فإن صلحت صلح الـ (CV) كلّه!

لا تزخر بلد ـ على حد علمي ـ بحملة الشهادات كما تزخر بلادنا، والسؤال: هل نحتاج لكل حملة الشهادات هؤلاء؟

الجواب: لا.. ففي الولايات المتحدة يريدون المزارع مزارعاً، ويريدون الحرفيين محترفين فعلاً، والعسكري عسكرياً، وهكذا..

ونحن ما زلنا نعتبر أن الشهادة هي أهم شيء. وللأسف ومع تبني هذا المنهج غدت الشهادة غاية وليست وسيلة، يتكئ المرء بعدها على جنباته وتراه لا يطوّر نفسه إلا فيما ندر، وأمست الشهادات كمّاً وليست كيفاً، بل أنني أظن أن هناك تضخماً في الشهادات! لا سيما وأن أحباءنا من المبتعثين بدأوا يعودون زرافات ووحداناً، فمن كان يحمل الثانوية مطلع الستينيّات يوازي من حمل الدبلوم مطلع السبعينيّات وهكذا.. أما بالنسبة للمكانة الاجتماعية، فلقد بات الشخص يذكر درجته من الدكتوراه قبل اسمه وأهم منه، ويغضب لو لم تذكرها في لقاءٍ تلفزيوني!

وهذا يذكرني بموقف طريف وصادم، إذ التقيت أستاذاً جامعياً في «كينجز كوليج» في لندن، وقال لي: اسمي جيمس. لاحقاً علمت أن جيمس هذا بروفيسور عملاق وأمام اسمه اختصارات يخفيها تقشعر لها الأبدان ويندى لها الجبين من عينة LLD، DSC، PHD، إلخ .

كابتن طيار مظلي، هيلوكابتر، غواص غسان حامد عمر

بشر فوق القانون

«كلما استسلمنا لقيود القانون...

استمتعنا بحريتنا أكثر».

المفكر والخطيب الروماني شيشرون

كنت في الشارقة عام ١٩٩٧م عندما حزمت أمتعتي لكي أتوجه إلى الولايات المتحدة لدراسة الطيران، حينها واجهتني مشكلة بسيطة في إخراج سيارتي ـ لسبب يطول شرحه ـ ، فسألت موظف الشحن إن كان بوسعي وساطة حاكم الشارقة لحل المسألة لوجود قرابة مع فرع أسرتنا هناك، فقال بالحرف: «حبيبنا.. هذه البلد شيوخها أكثر من حكامها! ما عندنا هذا الكلام، القانون يمشي على الكل».

وذات مرة، بينما كنت أجلس في بهو الفندق في مدينة «تولوز» في فرنسا، جلست مصادفة خلف مواطن سعودي كان يتحدث من هاتفه لمن يبدو وكأنه صديقٌ أو ذو قرابة منه، وكان يملي عليه خطوات الاتصال بشخصٍ في جهة ما لتسهيل مهمته دون الالتزام بالنظام. وأتذكر أنه كان يتحدث بثقة وفخر

كونه يعرف هذا وذاك، وما إن انتهى من «التعليمات» الأولى، حتى عرض خدماته بثقة أيضاً : «ها... هل لديك أشياء أخرى تحب أن تنجزها في منشأة أخرى ؟!!، نعم.. بالنسبة لهذه الجهة .. إذهب إلى... ». هذا الحوار يتردد على مسامعنا يومياً في حافلة الطائرة وفي ردهات الانتظار وفي المقاهي، وهو يبيّن إلى أي حد وصلنا في ثقافة «دهس القوانين»، وكيف أننا نحترم القوانين ونطالب بها طالما أنها لم تقترب منا.

يعزو علماء الإجتماع عدم احترام الناس للقوانين إلى سببين: إيمانهم أنها لا تطبق على الكل بالعدالة، وأنه يمكنهم النجاة منها بطريقة ما.

ولقد أحسن الملك عبد الله صنعاً حين صرّح في أكثر من مرة بضرورة تطبيق القانون على الجميع، وصرح المليك أيضاً قائلاً لهيئة سوق المال : «طبقوا القانون على الأمراء قبل الشعب» . وفي شهر ديسمبر عام ٢٠١٣ طالعنا تصريحاً بتنفيذ الحكم الشرعي على أمير قتل مواطناً.

طبعاً هناك تحسن ... إنني لا أحاول «تحسين شروط العبودية» كما سيصفني البعض، بل إنني أنظر من منظور واقعي ومنظور من يبحث عن بصيص أمل ليبني عليه شيئاً إيجابيّاً. صحيح هي حقوق للناس وليست هبة أو أعطية. ولكن ـ عن نفسي ـ أتذكر كيف كنا نعامل من قبل وزراء منذ

عشرين عاماً بمنتهى الاستهتار والعنجهية، وكيف كان مدير جامعة معروفة يقول أمامي لطلاب غير مقبولين: اغربوا عن وجهي! اذهبوا لأيّ مكان آخر يؤويكم !

وكيف كنا نقف صف سيارات عند مطعم الديوان لنصطحب المسّاح بيتاً بيتاً لتركيب الهاتف بعد انتظار سنوات!

وكيف كان هاتف السيارة يباع بستين ألف ريال! وقتها كانت الستون تشتري سيارة فارهة !؟

أين كنا عندما كانت السيارات تستدعى حول العالم لوجود مشاكل في المكابح، إلا لدينا.. كان بعض التجار يرمح بلا رقيب أو حسيب؟

معظم أقربائنا كانوا يعملون في وظائف حكومية، واليوم القطاع الخاص يوظف الكثيرين من شبابنا وفتياتنا اللاتي كن يبتعن صدرياتهن من بائع يتفحص أجسادهن !؟

إن كل مشاكل الوزارات اليوم هي مشاكل وزراء سابقين أسسوا لها في التسعينيات (إلاّ من رحم ربي ممن اجتهدوا، والله وحده يعلمهم).. وقد يحمل وزرها اليوم قريبك أو خالك أو صهرك.

«عندما يكون الجميع ضدك فهذا يعني إما أنك مخطئ تماماً، أو محق تماماً». ألبرت غوينون».

تفشّي ثقافة الشكوى[1]

«نحتاج سنوات لبناء جسور الثقة بيننا ..
وثوانٍ فقط .. لِهَدمِها».

جاء الرئيس الأمريكي بيل كلينتون من حاكمية ولاية آركنسو إلى البيت الأبيض ليجد الإقتصاد الأمريكي مثقلاً بالدَّين، وخلال فترَتَيْ رئاسته نجح في عكس مؤشرات الهبوط في قطاعاتٍ عدة في ظاهرة سمّاها خبراء الإقتصاد من باب الدعابة! « The pekiny chart » لا يستطيع إنسانٌ عاقل لوم الرئيس كلينتون فور توليه منصبه على التركة الثقيلة التي ورثها، لكن بإعطائه الفرصة الكافية مع بعض النقد البنّاء مع الأخذ بعين الاعتبار أن البناء أصعب من الهدم.

خشيت كثيراً أن أصنف في خانة الكاتب الذي كتب عن التنمية ووصف بالنفاق. وقبل التصنيف والزجّ بي في خانة المطبلين وطلاب الشهرة أحب أن أنوّه أن ما أحبّره الآن

(١) نشرت في صحيفة الشرق، العدد ٣٠٣، ٢ / ١٠ / ٢٠١٣.

هو محاولة للتوقف والنظر بهدوء وعقلانية للظاهرة التي أصبحنا نعيشها وهي روح التذمر العام وكثرة الشكوى والنقد الهدام.

ما صرت أجلس بمجلس إلا وانطلقت فيه الألسنة تلهج بالشكوى من كل شيء، وبطريقة سلبية فيها من المبالغة الشيء الكثير.. نعم من حق المواطن العيش بكرامة والتمتع ببنية تحتية سليمة دون منّة ولا فضل، ولكن ما أحاول قوله، أن كثيرين صاروا يشكون من أشياء توجد في كثير من المجتمعات ويتبادلون طاقة سلبية أولى بهم استغلالها بالكتابة لجهة مسؤولة، أو التعاطي معها بشكل إيجابي، أو ذكر حلول لها كما قال صديقنا المشهور، وقد أصبح ديدن بعض من يشتكون التشكي ولو لم يكن به شيء : «خليها على الله.. يا ريت» وقديماً قال المصريون : «الشكوى بميت رقوة»، أي أنها تبعد العين والحسد.

قال إيليا أبو ماضي :

أيّهذا الشّاكي وما بك داءٌ كيف تغدو إذا غدوت عليلا؟

إنّ شرّ الجُناة في الأرضِ نفسٌ تتوقّى، قبل الرّحيل، الرّحيلا

وترى الشّوكَ في الورودِ، وتعْمى أن ترى فوقها النّدى إكليلا

هو عبءٌ على الحياةِ ثقيلٌ من يظنّ الحياةَ عبئاً ثقيلا

والذي نفسه بغيرِ جمالٍ لا يرى في الوجود شيئاً جميلا

إن أناساً كثيرين من إخوانٍ عرب وغيرهم، يقومون بكثير من العمل وقليل من الكلام، والمحصلة أنهم راضون بالمجمل. إن زملاء لي في المهنة من «الخواجات» يتحدثون دائماً بإيجابية وأحياناً بواقعية عن مشاكل تمسهم، ولا يا سيدي الفاضل، أعرف عدداً منهم تعرض لسرقة في «الكومباوند» الخاص بهم، وتعرض لانقطاع الماء، ولكنهم يرون أشياء لا نراها.

لقد أتى الملك عبد الله على تركة ثقيلة لإدارة شؤون البلاد بسبب ظروف عاشتها المملكة. حدثان مهمان كانا كمفترق طرق للمملكة : سيول جدة والربيع العربي. كان لكارثة سيول جدة أهمية كبيرة في اعترافنا بأننا نرزح تحت الفساد، وهي بحد ذاتها خطوة مهمة لتشخيص الداء بالاعتراف بوجوده، ولو استغرق ذلك وقتاً. وبذلك نكون خرجنا من مرحلة الإنكار التي كنا نعيش.

إذا تجرد المرء من روح الشكوى الدائمة والنظرة السلبية سيرى أن سقف الحرية ارتفع كثيراً عمّا كان عليه في العقد الماضي، وذهبت كلمة «ورا الشمس» بلا رجعة.. لم نكن نجرؤ على ذكر كلمة شفافية.. سيلمس أن زمن الوزراء، السفراء والمدراء الموصدة أبوابهم قد ولّى. لا أنسى صوت

عميد جامعة سعودية وهو يصرخ في الطلاب : «قرفتوني روحوا شوفوا لكم جامعة ثانية تلمكم». أو مسؤول وزارة البرق والبريد والهاتف الذي يرمي أوراق المراجعة بعد تفضله مشكوراً بالشرح عليها. إن ما تم هدمه خلال ثلاثة عقود يصعب إصلاحه في عقد، فرقٌ بين النقد البناء الهدّام المليء بالتهجم والسخرية من كل شيء وأي شيء، نقد وصل لمراحل شخصنة المسألة مع المسؤول وأسرته من قبل صحفيين هم أنفسم بحاجة لنقد بأسلوبهم الذي يفتقد لأدنى درجات الرقي. قرأت للأسف لهم سابقاً في الصحف، وليتني لم أرهم في لقاءات تلفزيونية. وأيضاً ترى أناساً كانوا يطالبون بجهة لمكافحة الفساد، وهم اليوم يسخرون من الهيئة وإعلاناتها ولم يتمنوا لها التوفيق يوماً، وأشخاصاً كانوا يطالبون بإعانة للبطالة .. ويسخرون يوميّاً من حافز .

حذار من تفشي لغة الشتم والسب وتوزيع الإتهامات، فقد يكون المسؤول زوج أختك أو عمك وربما أبيك، وفي الحديث «كفى بالمرء إثماً أن يحدّث بكل ما سمع». مسؤولية المسؤولين الآن كبيرة، ولكن رويداً رويداً، فلو شغل أي شخص مكانهم ربما أدى أداءهم أو كان قريباً من أدائهم. إن مجتمعاً مليئاً بالتراكمات والمشاكل العويصة بحاجة لبصيص

أمل.. لنظرة تفاؤل .. لكلمة تشجيع .

ظهرت مؤخراً مجلات شبابية باللغتين العربية والإنجليزية[1] بميزانيات بسيطة وجهود شخصية تتبنى وجهة النظر هذه، وتخبرنا بالأخبار الإيجابية كي نسير ونتقدم ونؤدي الذي علينا إلى أن نصل يوماً.

وقديماً قال الحطيئة:

أقلّوا عليهمْ لاأباً لأبيكُمُ من الـ
ـلّوْم أو سُدُّوا المكان الذي سَدُّوا

كلمات تستحق التأمل:

«لدينا اليوم مؤشرات على كتلة «بوزون هيجيز» إننا على أعتاب تغيير كبير في طريقة فهمنا للطبيعة الأساسية للمادة».

كلير شيبرد-منظمة الأبحاث النووية (سيرن)

«أهل نجد هم الفرقة الناجية» .

دكتور محاضر في إحدى جامعات المملكة

---

(١) (ديستينيشن جدة)

الفصل الثالث عشر

اليوم

الربيع العربي

«اليوم، أنا الشخص الذي كنت أنتقد كل تصرّفاته وأفكاره قبل سنة، ولا أعلم من أنا في المستقبل».
@ibhm

مرّت رياحُ التغيير في العالم العربي ولا يعلم أي أحد إلى ماذا ستفضي ومتى ستخمد .

أثارت هذه الرياح تساؤلات لدى الجميع، وأصبح «تويتر» برلماناً غير منتخب من أحد، ومعقوداً بصفة مستمرة، أغلب أعضائه من الشباب والنخب. أسقط «تويتر» ووسائل التواصل الأخرى رموزاً بين ليلة وضحاها، ورفع سقف الحرية إلى مستوىً غير مسبوق من قبل.

مما لا شك فيه أن ما حدث في المملكة هو ثورة فكرية نستطيع أن نصفها بأنها :

أفكار حية نزلت على بيئة ركود ..

١) تُثيرها ..

٢) تُفعّلها ..

٣) تُدخلها في دورة حضارية.

كان الفيلسوف العربي الكبير «مالك بن نبي» يرى أن التغيير الإجتماعي والإصلاح الفكري أمران ضروريّان لرفع كفاءة الإنسان المتخلف[1].

لقد أمرنا الله عزّ وجلّ بالتفكير والتساؤل واستخدام العقل، وحذّر من أخذ ما وجد الناس آباءهم عليه بالكلية.

اليوم، يتقبل الناس الحديث عن مواضيع كانت محظورة في الماضي، ابتداءً من إغلاق الصيدليات وقت الصلاة، وتغيير موعد الإجازة الأسبوعية التي كان الحديث عنها حتى عام ٢٠١٠ ضرباً من التغريب! بل وتوجد فتاوى بتحريم ذلك قطعاً ... إلى مواضيع مثل عضل النساء، والفساد.

أصبح المجتمع يسير اليوم بشكل أسرع من الإعلام الرسمي، والشباب الجميل الذي خرج علينا ببرامج اليوتيوب المبدعة والملهمة أنشأ بطريقة تلقائية إعلاماً موازياً له جمهوره فرض نفسه بقوة لأنه تحدث بصدق في قضايا حساسة ولامس هموم الناس.

(١) انظر كتاب «وجهة العالم الإسلامي».

التشريق

وأقصد به «التغريب» كما كانت العرب تسمي الأمور بضدّها! وذلك لحساسية الكلمة هذه الأيام، فالمجتمع، وبعد سنوات اللاحراك، لم يعد يريد أي «فرامل» فكرية أو أخلاقية أحياناً، والتغيير سريع جدّاً...

مظهر الناس، تحوّل بعض فئات من المجتمع للتحدث بالإنجليزية، وغيرها من الشكليات.

كنت قد دوّنت سطوراً تحت عنوان «مطرقة الدوكالي وسندان جهيمان» مستغرباً سرعة التغيير.. (انظر المدونة).

مما لا شك فيه، أن الغرب ليس هو الفردوس الموعود، خصوصاً هذه الأيام. ففيه الصالح والطالح، إذ كان الغرب أكثر محافظةً وأخلاقيةً منذ خمسين عاماً مع أن ذلك واكب الثورة الصناعية وما قبلها من النهضات، ولم يكن الجنس غير الشرعي متفشياً كما اليوم. وكانت مدام «ميتران» ترفض استقبال وزير

أعزب في قصر «الإليزيه» واليوم دخل الإليزيه رجل بصحبة رفيقته، ووصلت لمنصب وزيرة، سيدة تحمل طفلاً مجهول الوالد!. بل وتجاوز الأمر علاقات ما خارج الزواج فأصبحت دول أوروبية تناشد مواطنيها بالإنجاب فقط بأي طريقة لأن معدل المواليد في تراجع بسبب «اللواط، السحاق» وعدم الرغبة في الإنجاب بسبب الظروف المادية، فباتت بعض الدول تستقبل الآلاف من دول آسيوية وإفريقية لتساعد في التنمية، ودق بعض المنظرين الغربيين ناقوس الخطر بأن الحضارة الغربية تحتضر، وأن اللهث اللا أخلاقي وراء المال بات أمراً مقلقاً، وكم أعجب عندما أسمع سيدة مثل «هيلاري كلينتون» تنادي بفصل الفتيات عن الشبان في مرحلة الثانوية في حين يجد البعض في دمجهم في تلك المرحلة حلاً لمشاكلنا!

لا يشكك أحد في عدالة وانضباط كثير من الدول الغربية، إلا أن انتقاء الجيد من حضارتهم مطلوب، وتجنب الخبيث منها والمنافي للفطرة واجب، وعلينا الاهتمام بالجوهر قبل المظهر [١]، حتى لا يختصر ما أخذناه فرحين من الغرب في

(١) «إن التقليص التدريجي لكل الحريات لدى بعض الشعوب، يبدو أنه ناتج عن شيخوختها بقدر ما هو ناتج عن النظام السياسي. نقول ذلك على الرغم من مظاهر التحلل والإباحية التي قد توهم هذه الشعوب بامتلاك الحرية. وهذا التقليص يشكل أحد الأعراض المنذرة بمجيء مرحلة الانحطاط التي لم تستطع أي حضارة في العالم أن تنجو منها حتى الآن». جوستاف لوبون.

مجرد أرداف صناعية وأوداج منتفخة!

بين عامي ٢٠٠٥-٢٠٠٧ [١]، وبعد صراع مع موضوع العباءة «المخصرة» بدأت تظهر محاولات لتزيين العباءات وتطريزها، وحسب نظرية ٢٠-٨٠ التي تتضمن استخدامات عدة، ومنها أنه لو افترضنا أن ٢٠٪ من مجموعة قاموا بعمل معيّن، فإن الثمانين الباقين سيحذون حذوهم، وتدريجيّاً انتشرت هذه العباءات في المدن الكبرى، خصوصاً وقد أصبحت لها تجارة خاصة ابتداءً من محلات الجملة البسيطة حتى المحلات الفارهة التي تحمل توقيعات شهيرة مقابل أثمان باهظة وترمز عادة للتدرج الإجتماعي.

ومؤخراً كتبت عن من صعدوا السلم سريعاً فوقعوا.

---

(١) لم تخرج الأزياء في المملكة عن المألوف على الأقل داخل المملكة، الثياب البيضاء والغترة أو الشماخ مع العقال للرجال، والعباءة السوداء تماماً مع النقاب والقفازات أو اللثمة في مكة والمدينة للسيدات، قصّات الشعر الغريبة للشباب ممنوعة وقد تتوقف مباراة كرة قدم تماماً لحين انتهاء مشكلة «القزع» مع اللاعب ، وقد لايدخل طالب مدرسته لنفس السبب.

الذين «لقطوا الكبابة من فم القدر»[1]

يقول أهل مكة على من ادعى معرفة الشيء واستعجل في نقله دون الإلمام به، أنه كالذي «لقط الكبابة من فم القدر»، وفي رواية «الكبيبة»، وفي ذلك إشارة إلى أنه أخذ ما في وجه القدر ولم يعلم ما تحتها، أو هكذا أظن.

أفرزت مدارس «التلقين» في بلادنا، التي تفتقر إلى المتاحف والمكتبات، مخرجات هشّة بشكل عام إلاّ من تدارك نفسه بنفسه، أو عُني أهله به في مرحلة مبكرة، وفي مجتمع عانى لأكثر من عقدين من فكر القطب الواحد، كان لزامًا التدرج في التغيير والانفتاح ومواكبتها بالتوعية والتوجيه.

وسوف يقوم أناس متعطشون للثقافة، خرجوا من تلكم البيئة بقراءة هذا وذاك، والتعمق فجأة في أمور فلسفية لا ناقة

(١) نشرت في صحيفة المدينة، الأحد ١٥ / ٩/ ٢٠١٣.

لهم فيها ولا جمل دون خلفية دينية صلبة، فيقعون في المحظور ويندمون حيث لا ينفع الندم!

قال لي أحدهم: «قرأت كتاب رأس المال لـ(ماركس) من الجلدة للجلدة»!، في حين أن لويس عوض ـ وهو من هو ـ قال إنه قرأه من خلال كتب عدة ولم يلمّ به إلمامًا تامّاً.

كما أن ليس كل من قرأ حصن المسلم يعتبر عالمًا، فليس كل من قرأ لنيتشه أصبح فيلسوفًا، نتج عن هذا أن هناك من أحرج نفسه، أو وقع في المحظور.

وصنفٌ آخر من «لاقطي الكباب» من ظنت أن المثقفة يجب أولاً أن تتخلى عن حيائها وتصافح هذا وتمازح ذاك ملقيةً بقيمها عرض الحائط، مهتمةً بالمظهر متناسيةً الجوهر، ولقد صفق العالم للسيدة «توكّل كرمان» واحترم مظهرها وجوهرها.

من قال ذات مرة: «تحاول الأمم المغلوبة أن تحاكي الأمم الغالبة فيما أبدعته وأجادت فيه، فتعجز في الغالب، فتعود لتحاكيها في أمور هزيلة وسخيفة لا تكلفها جهدًا. وقد سافر شباب من الشرق إلى الغرب فانبهروا بالحضارة المادية واندهشوا من ضخامة الاختراعات والاكتشافات

والتطور الدنيوي المذهل، ولكنهم لعجزهم عن صعود هذا السلم المكلف المرهق، أرادوا تقليد الغرب في مشاهد باهتة ومظاهر سخيفة ليظهروا أمام الآخرين بمظهر المتمدن الحضاري، فعادوا إلينا بأدمغة جامدة وضمائر ميتة وعليهم صورة الغرب في الظاهر؛ فمنهم من تقلّد سلسلة في عنقه وفي يديه، مع قصة لشعر رأسه، وجينز مخزوق يرتديه، وفانيلة عليها صور نجوم الفن والكرة في الغرب، ومعه كلب يقوده يركب هو وقرينه الكلب سيارة مكشوفة (الخنفساء) ويعبر بها شوارعنا؛ ليرينا تمدنه وتحضره، ويا للخيبة والخسارة إن كان هذا هو التمدن والتحضر! إذا كان غايته كلبًا يصاحبه وينام ويأكل معه».

الفصل الأخير

ضوءٌ في آخر النفق

وطن على الطريق الصحيح[1]

بعد انقضاء إحدى الأمسيات الثقافية في صالونٍ أدبي، سألني أحد أصدقائي من طلاب كلية الطب: «ما هي الحلول لما طُرح من معضلات في وجه الوطن ؟ وما دورنا في المستقبل ؟ ».

والحقيقة أن الجيل الجديد من شبابنا بات يطرح الكثير من الأسئلة المهمة ليل نهار، وغالباً ما تكون الأسئلة الصحيحة الجزء الأكبر من حل المعضلات، والأمم العظيمة تطرح أسئلة كل يوم.

برأيي، والرأي لكم، أن أول خطوة على الطريق الصحيح هي:

www

What do you want? Who you are? Where are you?

(١) نشرت في صحيفة المدينة، الأحد ٦ / ١٠/ ٢٠١٣.

وبقدر ما تكون الإجابات صريحة، واقعية، وبعيدةً عن خداع الوطن ومجاملته، تكون النتيجة.

ثانياً: وجود مشروع نهضوي ضخم في صورة حلم ونسميه مثلاً «المملكة عام٢٠٣٠» نتصور فيه الوطن وما سيكون عليه الوضع الإقتصادي في ذلك الحين مثلاً، وحتماً سنتطرق لملفات مهمة جدّاً كالمياه والطاقة وغيرها، آخذين بعين الاعتبار أوضاع المنطقة في الحسبان.

إن أبرز عقبة واجهتنا في العقدين الماضيين، توقفنا عن الحلم[1] وانشغال مؤسسات الدولة بثقافة «مكافحة الحرائق».

سُئل أحد المسؤولين الأتراك عن مدى احتمال التحاق تركيا بالإتحاد الأوروبي، فأجاب: أتمنى أن يظل حلماً إلى الأبد ليُخرِج أفضل ما لدينا دوماً .

ولكي يتحقق الحلم لا بد من إشراك المواطن في حلم الوطن بالإعلان عنه والتوعية بالتحديات القادمة، والأهم من ذلك تحديد تاريخٍ معين، ولنفترض مثلاً الأول من محرم

(١) بإمكانك الخروج للشارع الآن و سؤال أي مواطن عن أحلامه أو هواياته، وستفاجأ عزيزي القارىء بدهشته وصمته! ... الفشل للتخطيط، تخطيط للفشل (انظر كراسة د. صلاح الراشد : «خطط لحياتك» ستغير حياتك).

عام ١٤٣٦، نبدأ فيه رحلة جديدة بقوانين جديدة وحاسمة تسري على الجميع ونقف فيها خلف قيادتنا، ولا مكان في هذه الرحلة للإهمال والتراخي والسهر والإجازات حيث يقدم العمل والإخلاص.

حتى الأفراد يجب أن يحلموا، خذ ورقة ودوِّن عليها كل أحلامك، وستفاجأ كما تفاجأت أنا، بأنها تحققت بفضل الله.

سئل محمد سعيد طيّب عن وجود ضوء في آخر النفق، فقال:
«لايوجد.. لكني أراه».

من أين نبدأ؟

«الحقيقة المرّة:
بدون مشاركة شعبية برلمانية،
شعوب الخليج ليست إلاّ قبائل
متساكنة مؤقتاً في مجموعة أراضي
حتى ينفد النفط».

@ alfarhan

لا سبيل لأي تطور دون إدراك وتحقيق أهداف الإنسان البسيطة في هرم «ماسلو» :

الهواء، الماء، الغذاء، الجنس، إلخ.

ثم: الأمان الشخصي والوظيفي وأمان الموارد .

تأتي بعد ذلك: الصداقة والأسرة والحميمية في العلاقات الخاصة .

ثم: الثقة بالنفس، تحقيق الذات، احترام الآخرين واحترامهم لك.

ثم تأتي أعلى مرتبة : الفضيلة والأخلاق والإبداع، حلّ المشاكل، تجنب الإجحاف وتقبّل الأمور على حالها.

الجهل معطّل لنهضة الأمم، ولا أقصد الجهل «الظاهري» الممثل في الشهادات، بل الجهل الخفي المتفشي في مجتمعاتنا، قلّة الوعي جهل، عدم التطوّر جهل، عدم تطبيق المعرفة ... جهل!

القيم

القيم محركات السلوك... وفي أمريكا نجد أن القيم التي وضعها الأباء المؤسسون ست قِيم ، وفي كوريا الجنوبية ثلاث قِيم. وقد يقول قائل إن قيمنا مستمدة من الإسلام و. و. و ...، وهذا صحيح ولكنه كلام عام يجب حصره بعد أن ضاع المجتمع في غابة من القيم المهمشة التي وجب حصرها وإعادة إحيائها، والأولى بنا أن نحدد عدداً من القيم العامة التي تزرع في النشء منذ الصغر، وتنتشر في حملات توعوية في كل مكان، وندخلها في حراك ثقافي مجتمعي.

ومن الواجب تفعيل العمل بهذه القيم إن نحن أردنا إبعادها عن سلة النسيان .

معظم المستشفيات تفتخر بتعليق لوحات ضخمة مدبجة

بكلمات كبيرة مثل : رؤيتنا ... هدفنا ... قيمنا، إلخ. من العبارات الرنانة التي لا يلمس لها المريض أثراً خلال إقامته البائسة !

لتفعيل قيمة الصدق مثلاً، لا بد من أن يتم تفعيل قانون يجرم الكذب ويوقع بصاحبه أشد العقوبات، وهذه ليست عبارات هامشية. وعزّة الله، إنها حقيقة لا مفرّ منها، فمن العيب أن تعمل بها دول شمال أوروبا وغيرها ونحن أبعد ما نكون عنها.

النشء

تُشاد الأمم على قواعد الأجيال الصالحة الناشئة. ومنذ سنوات تغيّر اسم وزارة المعارف إلى وزارة التربية والتعليم، ومن يومها والتعليم في تراجع والتربية في انحدار[١]، وبتنا نرى ظواهر غريبة على مجتمعنا تزخر بها مقاطع «اليوتيوب» من ضرب وطعن للمعلمين وأمور تصل، ليس لتحطيم السيارات وحسب، بل وللقتل!؟

كيف لمن نفتخر بأنهم «رضعوا» مواد الدين لسنوات أن يسلكوا هذا المسلك ؟

---

(١) ماذا نرجو من جيل يقال له «لديك حصة فراغ!» ؟

كمّ على حساب الكيف، غاية لا وسيلة، ورغم الميزانيات المخيفة التي ترصد سنوياً للتعليم، إلا أن ما يقابله من تطوّر لا يذكر، رغم تغير المناهج من ناحية الإخراج للأفضل قليلاً ... إلا أن ما ينقصها كثير .. المحاذير ما زالت كثيرة. مثلاً، هناك شخصيات إسلامية يقدرها العالم أجمع في حين نقف نحن أمامها بتوجس وشكّ بلا مبرّر معقول.

الإهتمام المفرط بالأطفال مهم، تعليمهم، صحتهم النفسية، وحمايتهم عبر تفعيل قوانين العنف الأسري فوراً والتحرش الجنسي الذي حاول كثيرون تحذيرنا منه لسنوات، ولكن المصطلح نفسه كان مرفوضاً كما كان مصطلح «الثقافة الجنسية» (من منظور شرعي وعلمي) مرفوضاً، ما أدى بجيل كامل أن استقى ثقافته الجنسية من الأفلام الإباحية أو المعلومة الخاطئة، أو لا هذا ولا ذاك دخلت كثير من الفتيات الحياة الزوجية بخيبة وخوف وجهل، فوصلنا لما وصلنا إليه اليوم من نسب الطلاق الرهيبة.

«حين انتصر العقل في أوروبا، قال أحد رجال الدين المسيحيين :
يا لصعوبة المهمة التي تقابل الواعظ وهو يبشر بالخلاص أناساً لا يشعرون بالذنب».

مجتمعات الثقة[1]

عرّف الكاتب الكبير سمير عطا الله هذه المجتمعات بأنها تلك المجتمعات التي تنتشر فيها أخلاقيات كالصدق والأمانة، وإتقان العمل والإلتزام بالمواعيد إضافة لأداء الحقوق، وضرب مثالاً باليابان ودول شمال أوروبا، حيث تقل الطلبات والضمانات، وتنعدم الحدود بين الدول .. اللهمّ إلا من جندي يسألك مبتسماً إن كان معك شيء جمركي تفصح عنه أم لا، ثم يدعك تمضي.

تلك المجتمعات لا تخلو من المخالفين، لكن تطبيق القانون الصارم على الجميع، دون استثناء، جعل هناك منظومة تسير ولا تتوقف لمخالفة هنا أو هناك، وإن حصل أن أفلت أحد من قانون الدولة فإن هناك قانوناً أخلاقيّاً على نطاقٍ أكبر أشد قسوة وعقاباً .. فالكاذب لا مكان له في تلك المجتمعات، وهو منبوذ حتى من المقربين إليه، وسرعان ما يُرمق بنظرة

---

(1) نشرت في صحيفة المدينة، الأحد ٣١ / ٣/ ٢٠١٣.

قاسية إن خالف قوانين السير مثلاً .

ويذهب آدم سميث، مؤسس علم الإقتصاد الحديث ـ في كتاب «نظرية الشعور الأخلاقي» إلى: أن النجاح الإقتصادي المستقر يعتمد بشكلٍ كبير على الكثير من المبادىء الأخلاقية.

الحاصل اليوم، في أغلب مجتمعات الشرق الأوسط، ربما لا يكون ذلك تماماً، والناظر إلى ما آلت إليه الأمور من انعدام الثقة ابتداءً من العامل البسيط وربّ العمل ومروراً بالتاجر والمشتري، وصولاً إلى بعض الحكومات ومنفذي المشاريع ليَعلم علم اليقين أنها أصبحت ظاهرة متفشية، ومن يرى كمية الأوراق الموقعة بين بعض البنوك وعملائها ليعلم أن هامش الثقة في القانون تكاد تكون منعدمة، بل إن وكالاتٍ دولية ابتكرت قوانين خاصة بفروعها في تلك المجتمعات، وتوجد وكالة حقائب نسائية مشهورة تطلب توقيع السيدة على إقرار لإصلاح حقيبتها، وذلك لوقوع حوادث عدة لسيدات أنكرن طلب «تنظيف» الحقيبة أو إصلاحها المكلفين .

إن غياب الوازع الأخلاقي والثقة بالنظام يعني وجود مزيد من العقبات والعراقيل ومزيداً من التكاليف، وإهداراً للوقت، باختصار.. لا نهضة ولا تقدم دون أخلاقيات مجتمعات الثقة.

السر الأول بين أيدينا في أول التنزيل: «إقرأ» (١)

زرت معرض الكتاب في مدينة الرياض العام المنصرم، وسرني الإقبال الكبير من جميع الفئات العمرية، وأستطيع أن أقول أن أمة «إقرأ» الآن بدأت تقرأ، وجهاز بيع الكتب الآلي موجود في أكثر من جامعة ومركز تجاري. وقد يقول قائل إننا ما زلنا بالأرقام والإحصائيات أقلّ بكثير من الغرب، سواءٌ في الإصدارات أو التراجم، وهذا صحيح بسبب الفارق التاريخي في دخول الطابعة على ثقافتهم وغير ذلك من عوامل الحرية. ولكنها فاتحة خير، ومن يتقدم سنتيمتراً اليوم قد يخطو متراً غداً.

إن انتشار الكِتاب وكثرة الكُتّاب أمر صحّي لنشر الثقافة، وفي خطوات لاحقة سوف تنتشر المكتبات ودور النشر، وإذا غدا منظر الكتاب مألوفاً في المنزل وفي المدرسة أمام الطفل فتلك العلامة الكبرى لقرب نهضوض الأمة.

---

(١) نشرت في صحيفة المدينة، الأحد ٢١ / ٤/ ٢٠١٣.

السؤال: ماذا نقرأ؟ ..

إن من ظنّ أنه لا يحب القراءة ولم يجد نفسه فيها، قد لا يكون قد وقع طيلة عمره على كتابٍ شيق أو رواية تشدّه، أو قد يعود الأمر إلى أن «الناس أعداء ما جهلوا». ولمن يريد البدء، يستطيع قراءة أعمدة منتقاة من الصحف ليكسر رهبة القراءة (بعيداً عن مقالات الخدمات والبنى التحتية) لكتّاب كبار عُرف عنهم الثراء الفكري والتنوع، أمثال الأساتذة: عاصم حمدان، خالص جلبي، أنيس منصور، خالد القشطيني وطبعاً المعلم سمير عطا الله (مع حفظ الألقاب) ثم فليقتني كتبه بناءً على ما لمسه من ميولٍ أدبية أو سياسية أو سير الأعلام وأدب الرحلات .

أما بالنسبة لمن لم يعاني من الملل، ويشتكي من عدم القدرة على إكمال كتاب، فأنصحه بقراءة أكثر من كتاب في وقت واحد، وأن يقرأ في أوقات مختلفة صباحاً ومساءً، وفي أماكن مختلفة في المنزل وخارجه، فهناك من ينسجم في القراءة مع الجوّ الصاخب والكثيرون يفضلون الهدوء.

لماذا نقرأ؟

للقراءة أثرٌ «جليٌّ» على قرارات المرء ورؤيته للأمور، بل

وعلى بصيرته من مصلحة خاصة، ونهضة الأمة كمصلحة متعدّية. والقارىء يبدو مميزاً وسط أقرانه، وإذا رآه الناس أحسّوا بعلوّ كعبه، ومن يقرأ يعرف ويَعلم، ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وهنيئاً لأمة نساؤها يقرأن .

فلا سبيل لأي مجتمع للتقدم إلا بالمعرفة. وبذلك أعني المعرفة الحقيقية الموجودة في الكتب والندوات لا ثقافة «الواتسأب» التي تفتقر للجدية والتي لا تقدم ولا تؤخر[1].

وهو أمر خطير قد يندرج تحت ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾، فتقول للواحد مثلاً: ما هو دليلك على وجوب مقاطعة المقهى الفلاني؟ فيرد عليك إما بلفظ : من رجل ثقة، أو جاءني على الإيميل (الواتسأب هذه الأيام)، وحين تحاججه بأدلة وبراهين مثبتة ينكر ولا يستمع لك.

وأخيراً .. من وجهة نظري: أنه لا قيمة لكل ما قرأ المرء من أمهاتِ الكتب، إذا نَظَّر وأسقط وتشدّق، ولم ينعكس هذا على سلوكه مع أهل بيته خاصة ومجتمعه عامةً.

---

(١) لدينا مشكلة كبرى مع الكلام المنقول متمثلًا في ثقافة «أنشر تؤجر» !

السر الثاني أنت..

نعم أنت عزيزي القارئ، إنّ أخطر ما أصاب الإنسان في بلادنا هو «اللامبالاة» !

أشخاص قلائل هم الذين غيّروا وجه التاريخ، وحسب «برتراند راسل» فإن نهضة العـالم يعود فضلها لمائة عقل فقط ! The power of one أي قوة الشخص الواحد، قوة غاندي ومانديلا ومارتن لوثر كنج وطبعاً النبي محمد ﷺ.

فلنتوقف عن توجيه السبّابة للآخرين ولنديرها تجاهنا قليلاً، فبإمكاننا عمل الكثير: كلمة طيبة، إنجاز للعمل، بنك للطعام .. من يعرف ينشر معرفته. هذه الأيام التغريدة في «تويتر» قد تُغيّر حياة إنسان أو تُعيد توجيهها!

أعرف شخصاً بعث ببرقية لمساعد وزير الداخلية عندما شهدت المملكة أحداثاً مؤسفة كأحداث «المحيا» يلفت انتباه الوزارة لعدم وجود نقطة تفتيش قبل المطار، فكان أن اتصل به رئيس المنطقة وطلب معلومات عن المكان، ولم يمض يومان إلا ووضعت نقطة أمنية واستمرت حتى يومنا هذا.

إن الكون هذا يتغير يومياً بملايين الحركات الصغيرة التي تبدو في ظاهرها بلا قيمة، فلنكن نحن التغيير الذي نريد.

أمة في خطر

منتصف القرن التاسع عشر، رسا أسطول سفن أمريكي في ميناء طوكيو للتزود بالوقود والمؤن، لكن سرعان ما غادر لأن اليابانيين لم يكن لديهم الإمكانيات. عاد الأسطول العام المقبل ومعهم هدايا وعرّفوا بأنفسهم أكثر فكان لهم ما أرادوا. لكن المسألة أثارت فضول مجموعة من العلماء والمفكرين اليابانيين .. فكيف حصل ذلك ؟

توصلت النخبة المجتمعة إلى: أننا كيابانيين لم نر من قبل سفينة عليها مدافع، ولا بحارة يلبسون زياً موحداً، ولا.. ولا.. فماذا يعني ذلك ؟ يعني أننا أناس جهلة، فماذا نفعل؟ نتعلم .. كيف؟ «إما أن نستقطب العلماء من حول العالم، وإما أن نبعث بشبابنا للخارج» ..

فأرسلوا بعثة من المختصين ـ وكانوا أحد عشر ـ لشتى البلاد، فعادوا بتقرير: إننا بحاجة للإنجليز ليبنوا لنا سكك حديد، وإلى فرنسيين ليضعوا لنا الدستور، إيطاليين للرسم

والفنون، ألمان للمستشفيات، وأمريكيين للتعليم .

أغلق اليابانيون الباب على أنفسهم عشر سنوات، ففوجىء العالم بالأسطول الياباني يغرق الأسطول الروسي !

وعندما أطلق الروس «سبوتنيك» عام ١٩٥٧، كانت مفاجأة للعالم وصفعة للأمريكيين، كونهم استحوذوا على علماء ألمانيا المهزومة وعلى رأسهم «فون براون» ليقدموا لهم برنامجاً صاروخياً، إلا أن الكونجرس أجّل المشروع لضخامة النفقات، فعجّلت لطمة الروس بتفعيل البرنامج .

ومن «تقرير ترومان» المقدم للرئيس الأمريكي، خرج تقرير خطير بعد سنوات تحت عنوان «أُمةٌ في خَطَر» A Nation at Risk يصف حال انحدار التعليم الأمريكي ويُحذر من أثر ذلك على الأمة، وصدر قرارٌ بأن تبقى لجنة التقرير منعقدة لآخر القرن !

ثمة مقولة في تاريخ الشعوب تسمى «النبوءة الناسخة لنفسها»، وتعني أن تقوم أنت بمعالجة الخطر المُقدم عليه فتتفادى خطر المستقبل المحتوم. ولدى بداية الرأسمالية قامت الدول المبشرة بها بفعل عكس ما حذرت منه الشيوعية في كتبها الناقدة للرأسمالية، فسادت واحدة وبادت الأخرى.

ما المطلوب مني كمواطن؟

كن مشـروعاً : أنـت طبيـب، إذاً أنـت تسـد خانة مهمة وننتظر منك القيام بعملك بكل أمانة .

كوّن مشروعاً : مثل المشاريع الجميلة من شبابنا الواعد الذين يملأون دنيانا قصصاً طموحة، مشاريع منزلية من «الكب كيك» إلى محال كثيرة على مستوى سيدة أعمال تتصدر منتجي «الكافيار» في الشرق الأوسط!. فعلاً... لقد تخلفت المرأة عن ركب التنمية ثلاثين عاماً !

إدعم مشروعاً : رجل أعمال أنعم الله عليه بالقدرة فيساند مشاريع صغيرة فيسدّ باباً في وطنه. التجارب الرائعة حولنا كثيرة لرجال وسيدات سعوديين : محمد عبد اللطيف جميل، القريشي، الفوزان، رامي أبو غزالة، الراجحي، الزاهد، المهيدب .. وغيرهم من الشرفاء.

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾

لا بديل للمجتمع عن التصالح مع نفسه أولاً كأفراد ثم التصالح مع بعضه من أجل غد أفضل. الإهتمام النفسي بالإنسان من أولى الأولويات ويجب توفيره بالمجان للمحتاج لنقطع طريق الدجالين الذين يغررون بالناس بحجة تلبّس الجنّ وغيرها من غير المختصين.

توجد تمارين تساعد على تحسين شعور الإنسان من الداخل :

١- يمكنك كتابة ما يضايقك من مشاعر سلبية لمدة ١٥ دقيقة يومياً لمدة أربعة أيام، وستشعر بفرق. وهذه الطريقة ابتكرها «جيمس بيني بيكر».

٢- توجد طريقة اسمها Story editing وذلك بتخيل قصتك المزعجة بنهاية مختلفة تكون سعيدة، أو تتخيل فيها أن هذا الحدث في الماضي لم يحدث بهذا السوء مثلاً .

يجب أيضاً أن نتصالح مع بعضنا كمجتمع و«نغمد» أسلحتنا المشهرة في وجوه بعضنا ليل نهار، وأن نبتعد عن سوء الظن وتقديم النوايا السيئة ... إنني أجد صعوبة أحياناً في تصديق تحليلات بعض الناس تجاه الآخرين !

أزمتنا الرئيسية أخلاقية أعزائي.

فصل الخطاب في داء الاستقطاب[1]

«توقفوا...» أقولها صارخاً.. فيصمت الجميع من حولي بعد ضجيج رهيب.

مشهد أتخيله بين الفينة والأخرى ونحن نعيش حالة من «تمزيق الملابس» السائدة في وسائل الإعلام، التواصل الإجتماعي، والمجالس.

فمنذ أن أسس لهذا المذهب العبد الفقير إلى ربه «جورج بوش» ابن أبيه، منذ اثني عشر عاماً، قائلاً: «أنتم إما معنا أو ضدنا! »، أعلن عن مذهب جديد.. تربته الإقصاء، بلاطه الكره والبغض، وسقفه «فكر القطب الواحد».

والقضية لم تعد مذهبية أو طائفية، ولكنها غدت تدخل في صلب كل القضايا من حولنا، والكل أصبح له رأي في كل شيء وأي شيء، ولم تعد تسمع أحداً يقول: لا أعلم !

---

(١) نشرت في صحيفة المدينة، الأحد ٤ /٨/ ٢٠١٣.

لم أعد أستشهد بمقولة جميلة لأحد الأدباء أو الدعاة إلا وقفز عليّ المتلقي :

«لم يبق إلا هذا الوغد ليعلمنا أمورنا! » أو «الرويبضة»... والقائمة تطول، فأصبحت أنسب كثيراً من الحكم والمواقف للمجهول! تفادياً لتلك المهاترات والتفرعات.

والتراشق اليومي بات يبعث على الانزعاج، وربّ الكعبة، ففيه تسفيه للكبار والقدوات.

محام معروف يصطفّ مع شيخ جليل في وجه بروفيسور ومثقف ليكيل كلٌّ تهمة للآخر، وبدلاً من تفنيد الأفكار والحوار يصبح الأمر قمة في «الشخصنة» .

ولنا بين هؤلاء وهؤلاء أحباء وأصدقاء نحبهم ونحترمهم فنلتزم الصمت في قضايا الجدل «البيزنطي» فإذ بنا نختار الوسط ونقع في مشكلة الوسطية بعيداً عن رؤية الأمور من جانب واحد وبلونٍ أبيض أو أسود، فمن معضلات الحياد الإبتعاد .. فبه تبدو الأمور أوضح، فيُظنّ بك أنك جبنت، وفيه فرصة دائماً للتراجع والتفاوض، وهو بذلك يصطدم برؤية من يظنون أنهم وحدهم يملكون الحقيقة.

ربما يكون هذا نتاج من نشأ في بيئة ترى أن التنوع يدعو إلى

التفكير والتساؤل .. فالحيرة .. ففي «الاختيار قلق» كما يقول المثل الألماني !

وفي الحديث الشريف: (إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلّون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم).

فيا معشر المستقطبين، كفّوا، فإنه لا ضير من النقاش والخلاف. وليس الاختلاف الدائم على كل شاردة وواردة، والرجوع عن الخطأ فضيلة، نختلف ونتفق لننهض، فلقد طالت كبوتنا.

رسائل

رسالة للشباب : لا تسلموا عقولكم لأي فكر وتيار. إياكم، وكردة فعل معاكسة، الارتماء في تيار معاكس متطرف أيّاً كان. عليكم بالوسط وتبنوا دائماً طريقة Critical thinking، بتحليل المعلومة التي تردكم .. مِن مَن؟ ما أثرها علينا ؟ .

أيها السعوديون: أخرجوا للحدائق إن وجدت، وإلاّ أنشئوها واسبقوا الوزارات والبلديات مهما كانت همومكم، فالخضرة تجلي البصر ـ كما قيل ـ، ودعوا الباقي على الخالق بعد جهودكم. أحبّوا الحياة، وتأملوا، فبإدراك الجمال تسمو الأرواح ويزداد الإيمان الحقيقي.

رسالة لمن ضللوا الناس في العقدين الماضيين :

يا من اختطفتم ظلّ الدين، أنتم مدينون باعتذارٍ كبير عن تضليلكم للمجتمع كله عن اختطافكم لعقوله.

إنّ جيلاً من الشباب باتوا لا يعلمون الحق من الباطل ؟!.
لقد فتنتم الناس في أهم شيء .. دينهم المتسامح.

لقد فقدت أُسرٌ أغلى أبنائها في سن الخامسة عشرة، من الذين تركوا منازلهم فجراً وسرّاً، ليخوضوا معارك «الآخرين» الدموية، فيما بكت الأمهات سنوات وهنّ لا يدرينَ أأبناءهن أحياء أم هم ميتون؟ ألا من هاتف مجهول بعد سنوات يزف إليهن الخبر؟. وها أنتم تقومون بأكبر مراجعة فكرية في التاريخ سرّاً.

إننا نعيش ـ بفضل الله ـ استقراراً في هذا الوطن، وهو من أهم شروط النهضة والتقدم والتي ينبغي أن نتخذها ركيزة لنا.. وللحديث بقية.

أمضيتُ عمْريَ والصحراءُ قاحلةٌ
وضـاع فيها الذي يهفُو له العُمُـرُ
لم يبقَ في دفترِي من نـارِ حكمَتِهـا
وقد تلظّيتُ ... إلاّ الدرسَ والعِبَرُ

شكراً لوقتكم.

من مدوّنة قديمة[1]

مواضيع ذات صلة

نداء وحداء

يقال إنه من الممكن أن تخدع بعض الناس كلّ الوقت، أو كلّ الناس بعض الوقت، ولكن ليس من الممكن أن تخدع كلّ الناس كلّ الوقت.

مرت سنون وسنون من أعمارنا تلقينا فيها الكثير، ويغلب على أكثر الكثير.. التافه.

إحذروا الصليب.. فهو في كل مكان..في رقعة الشطرنج.. مرساة السفينة هي صليب!!؟؟، منشورات توزع في مدارسنا عن وجود لفظ الجلالة على الأحذية ودوّاسات السيارات، يُدّعى أنها من صنع شركات يهودية.

دروس وخطب عن مؤامرات مزعومة تحاك في الخفاء

(١) نشرت في المدونة، ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٤.

ضد شبابنا المسلم «النشيط والجاد» لإيقاعه في الرذيلة حتى لا تفيق الأمة.

في لندن، رأيت الناس في حركة وشغلٍ دائمين فوق الأرض وتحت الأرض. تقدم باستمرار وتقنية جديدة كل يوم. فوقفت جانباً أسأل نفسي: هل هؤلاء الناس يحيكون لنا المؤامرات فعلاً؟ أم أننا قوم فاشلون نلقي بالأمة على سوانا؟.

ساعات قضيناها في صفوف المدارس حفظنا فيها زكاة الإبل«بنت لبون»، وأكبرنا اليوم لا يعرف زكاة ماله عندما يزيد وينقص في «حول»، ناهيك عن زكاة العقار والأسهم.... تلكم الخديعة.

أما التناقض أن تقوم بحشو ذهني بأناشيد « نداء وحداء» حول الجهاد:

خنْدقـي قـبْري وقـبْري خندَقـي

وزِنـادي صامـتٌ لـم ينطـقِ

فمتـى ينطـقُ رشّـاشي متـى ...

ثم تنهاني عن مجرد التفكير فيه الآن، أو أن أسمع أحد

أئمة المساجد خطيباً قبل الحادي عشر من سبتمبر في مسجد لندن «الريجنت» بعدم جواز تهنئة الكفار بأعيادهم، وأن ترك معاداة الكفار سبب لوقوع الفتنة، إلى آخره. ثم أسمعه مرة أخرى، ولكن بعد الحادي عشر، يرتّل خطاب التسامح والإخاء مستعيناً بالآية الكريمة:

﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾ صدق الله العظيم.

أعتقد أنه لا شيء أصعب من أن يكتشف المرء أيّاً كان عمره - بعد مضي سنين-، أنه كان مخدوعاً طوال تلك الفترة، وبين الخديعة والتناقض ونظرية المؤامرة وسفاسف الأمور، قبل الحادي عشر وبعده، نداء وحداء.

هل نحن قومٌ مدّعون؟

الإحصائيات لدينا غير واضحة وغالباً غير صحيحة:

● نقود سياراتنا بطريقة همجية، ثم نقطع جسراً لدقائق فنصبح نظاميين.

● ليس لدينا سينما لكننا أغلب حضور سينما السيف بالبحرين !

● تدخل السيدات الطائرة ملتحفات بالسواد فتصبح علاقة الملابس «طردية» مع عدد الأميال المتبقية للرحلة.

● زرعوا فينا انفصام الشخصية ...

ـ تريد فتح محل «كوافير»؟ لا .. خذ تصريح مشغل.

ـ مبرمج حاسب لدى بنك.... ممنوع، خذ تأشيرة عامل.

ليس مهماً حقيقة وحجم الكارثة .. أهم شيء ما يقال عنا في الصّحف الدولية .. أما الباقي سهل.

ميّزنا أنفسنا عبر السنين بخصوصيات .. ما أنزل الله بها من سلطان.

مزجنا عاداتٍ قبلية بالدين الذي نمارسه.

نتاج هذا مسخٌ قبيحٌ، فهل نحن قومٌ مُدّعون؟

من مدوّنة قديمة[1]

كانت الزيارة الأولى للشيخ الجليل القادم من شرق آسيا لبلدنا «نفطستان». كنت في استقباله بعدما فرغ من أداء العمرة. لا أستطيع وصف مدى سعادته بزيارة الأماكن المقدسة التي طالما اشتاق لزيارتها.. خصوصاً أنه رسم صورةً لها في خياله..

ونحن في طريقنا إلى المطار، طلب مني أن آخذه في جولة سريعة في مدينتنا الساحلية..

حاولت الهروب من طلبه هذا لأنني كنت أرغب أن يترك بلادنا بانطباعه الحسن. قلت: «ياحضرة العالم.. إنك لن تستطيع معي صبراً». ولكنه أبى إلا أن يزور المدينة الساحلية.. فكان له ذلك.

ونحن لم نزل في المدينة المقدسة، وبينما نحن نمرّ بأحد الشوارع الجانبية، رأينا دخاناً يخرج من إحدى العمائر، ورجال

(١) نشرت في صحيفة المدينة، ٢٩ مايو ٢٠١١.

الإطفاء يحاولون الدخول إلى المكان لإنقاذ من بالداخل، وبعض الرجال يمنعونهم من الدخول.. استعجب الشيخ الجليل ولم يبد أي اهتمام.

أكملنا مسيرتنا، وبينما نحن سائرون في أحد شوارع مدينتنا الساحلية. استوقفتنا إحدى إشارات المرور، ووجدنا أنفسنا بين عربتين أشبه ما تكونان بالشاحنة. لوهلة، عجب شيخنا، ولكنه سرعان ما عاد لهدوئه المعهود.. ولم يعقّب.

في مناطق عدة، رأينا أعدادا ً كبيرة من الشباب يمضون وقتهم بين التسكع وإيذاء النساء، وما كان من الشيخ الجليل إلاّ أن انفجر غاضباً، فقلت له: سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا.

أما ما رأينا من دخان وجلبة.. فتلكُمُ البناية المستأجرة مدرسة فتيات،كانت تحترق والرجال هم رجال هيئة لأمر الناس «بالمعروف» ونهيهم عن «المنكر»، وقد منعوا رجال الإطفاء من الدخول لأن الفتيات غير «متسترات»!،لاحقاً أعزى المسؤول المتواجد من وزارة التعليم أسباب وفاة من قضوا .. أنها «قضاء وقدر» .

وأما ما يشبه الشاحنة فتلك ما ندعوها ـ سلّمكم الله ـ

«وايت» وتقوم التي كانت على يميننا بنقل فضلاتنا ـ أعزّكم الله ـ إلى بحيرة جميلة في أطراف المدينة، لعدم وجود تصريف صحي لذلك، أما التي عن شمالنا فهي نوع آخر من هذه «الوايتات» لنقل الماء للكثير من المنازل التي بلا ماء.

وأما الشباب الذين رأيتهم .. فهؤلاء شباب هذا البلد أتمّوا اثني عشر عاماً في التعليم وها هم اليوم بلا عمل، لأن «مخرجات التعليم» لا تناسب سوق العمل !!، بينما العمالة الأجنبية تشغل أماكنهم.

الآن أيها الشيخ وقد استمعت إلى ما سلف، هل من مخرج لما نحن فيه؟

فرد الشيخ الحليم: «يا بني.. إنكم ظلمتم أنفسكم، فاقتلوا أنفسكم ... ذلكم خيرٌ لكم».

مطرقة الدوكالي..وسندان جهيمان

بدأت القصة عندما سمعت صوت الفنان المغربي «عبدالوهاب الدوكالي» في المذياع، ولم أكد أصدق أذني، فهذا الصوت الذي كان يصدح في حفلات التلفزيون السعودي في الرياض قبل أكثر من عشرين عاماً، وكان يجسد حال المملكة تلك الأيام عندما كانت غارقة في العسل متناسيةً الحقبة المظلمة التي قبلها..اختفى فجأةً.

يقول أحد الكتاب: «لعله من المفيد أن يتم إنشاء متحف للجهل، متحف يضم أول جهاز برقيات حرم ومنع استخدامه، أول مذياع حرم ومنع استخدامه بحجة أنه صوت الشيطان، أول جهاز تلفزيون وصحن لاقط حرم، أول مدرسة بنات بحجة أنها تفسد المرأة، أول سيارة، وأول كاميرا، أول بنطلون، أول نظارة قراءة «بحجة أنها تغير خلق الله»، وغير ذلك من الأمثلة المشابهة». انتهى كلامه.

ولعل صوته اختفى مع صورة كتب تحتها تعليق:
أشهر طياري السعودية وإحدى مضيفاتها في حفلٍ خاص، بعد حادثة «جهيمان».

لعل ما أثاره جهيمان وأتباعه في تلك الفترة من قلاقل ومهاترات بدأت بتوزيع المنشورات، وخصوصاً منشورة (رفع الالتباس عن ملة إبراهيم أفضل الناس) وفيه يحض على الانفصال عن الحكومة ووظائفها، بحجة أنها لا تحكم بشريعة الله ومروراً برسالته (الإمارة والبيعة والطاعة) بعدما تحدث طويلاً عن صورة الحكومة الإسلامية المثالية في نظره، والقائمة على محاربة مظاهر الحياة الحديثة والعلاقات الدولية، وغير ذلك، وعن عدم تحقق هذه الصورة في الحكومة الموجودة، وصولاً إلى أن صبح الأول من محرم ١٤٠٠ الذي كان نقطة تحول مائة وثمانين درجة للإتجاه الآخر، تغيرت بعده برامج الإذاعة والتلفزيون، وإعلانات الصحف وأعطيت هيئة الأمر بالمعروف صلاحياتٍ أكبر... إلخ.

في ذلك الوقت نشأت طبقة جديدة أخذت صبغة دينية ذات طابع يُعنى غالباً بالمظهر على حساب الجوهر، وقام بعض هذه الطبقة بالخلط بين العادات القبلية والدّين. واستمرت تلك الطبقة بنفوذها. تأمر وتنهى دونما حساب،

لفترةٍ تزيد عن العقدين.

ولأننا عباقرة في الإدارة الدفاعية وننتظر حدوث المصائب لنتحرك.. تنبهنا في وقت ما بين الحادي عشر من سبتمبر والحادي عشر من ربيع الأول (أول انفجارات الرياض) إلى خطئنا الكبير في الانسياق وراء نظرية فكر القطب الواحد الذي طالت نيرانه كل أحد، ولأننا لم نتعلم من خطئنا ذهبنا إلى القطب الآخر وارتمينا في أحضانه متحججين بالعولمة وأن التغيير قادم لا مفرّ منه، وسرعان ما نشأت طبقة جديدة ذات طابع فكري «مواكب للعصر» بزعمنا، وقبلناها كما هي.

وإذا بملتزم الأمس الذي كنت أحسبه من الـ-un touchable's أصبح طريد اليوم!!، وإذا بـ «لبرالي» الأمس يصبح معتدلاً اليوم تماماً مثل طبق اليوم! ، حتى عائلة «أبو هزار» (طاش ما طاش) لم تسلم من الموجة.. فبعد أن كان الرجال يقومون بدور السيدات في السابق .. تم استبدالهم بفريق من الفتيات الخليجيات الحسناوات!.

أعلم أني، وأنا أحبّر هذه السطور، قد أُحسب على التيار المتشدد من البعض.. أو على التيار الليبرالي من البعض الآخر، ليس مهمّاً ما أظن في الـ video clip أو المجلات

النسائية أو حتى المجلات المعنية بليالينا الملاح.. المهم مع موجة التجديد والإنفتاح اللامحدود أن أسأل... هل نحن نعي ما نفعل؟ ولماذا نفعل ؟؟

يقول عملاق الأدب العربي: «ودوافعك أولى بالتحري من غاياتك» .

إلى أين نحن ذاهبون؟ وماذا عن هويتنا؟ أسئلة كثيرة نحتاج أن نكون صادقين مع أنفسنا أولاً في الإجابة عليها.. ولو أني أرى أننا أقرب إلى مقولة «ماركس»:

«إن الطبقة المسيطرة في مجتمع ما، تطبع كل جوانب المجتمع بطباعها: من العادات.. إلى القوانين.. إلى الأديان، وبالتالي يستحيل تغيير المجتمع إلا بإزالة هذه الطبقه نهائياً».

كتبتها تحت اسم :
مساعد الطيار
وتاريخ جمادى الأولى ١٤٢٧

من المدوّنة

كنت قد تجنبت كتابة المقالات «الخدمية» منذ أن خطّ قلمي المتواضع، ليس فقط لكثرة من امتهنوها وبشكل يومي، ولكن لإيماني بأن مشاكلنا يجب أن لا تعدو عن كونها تنفيساً في المجالس أو تبادلاً لقصص ممجوجة: «سمعت ماذا حصل!؟ يا الله؟؟»، ناهيك عن عدم إجادتي لذلك.

واليوم أقول وبكل إيجاز، إن كارثة جدة التي لا يلبث المواطن بأن يلقي بلائمتها على أمانة مدينة جدة.. هي نتاج تخطيط «ناقص»، فكل مدن المنطقة غير مؤسسة أصلاً بشبكات: التصريف، المياه، والصرف، وإنها أيضاً إهمال قديم ومتراكم لمدينة هامة تاريخيّاً وجغرافيّاً عدا كونها مدينة سياحية سريعة النمو تستقبل موسميّاً أناساً من كل الأجناس.

والسؤال اليوم: أين كانت مصلحة الأرصاد وحماية البيئة قبل الواقعة ؟ أين الدفاع المدني الذي سارع بإصدار بيان

«عديم القيمة» بعد مرور ستين ساعة على ما حدث! مثل بيان «بوش» بعد انهيار ١١/٩ !! لماذا لم تصدر البيانات قبلها.. وأثناءها. لعل بعض من قضوا كانوا من الناجين؟ إلى متى ستظل إحصائياتنا متأخرة ومضللة و«مطبوخة» كما يقول أحد المسؤولين لـ «لورنس رايت»؟.

واليوم تسقط ورقة التوت عن عورة استعداداتنا مع ٧٢ مل من الأمطار.. قتلى ومفقودون بالمئات، بنية تحتية هشّة، تخبّط الجهات المسؤولة، قلة مؤسسات العمل المدني.. فكيف بالأعاصير وزلازل السبعة ريختر ؟

«إن الله قد حرّم عليكُمْ دماءَكُمْ وأموالَكُمْ إلى أن تلْقَوْا ربّكُمْ كحُرمةِ بلدكُمْ هذا».

حجة الوداع

٤-١٢-٢٠٠٩

بعض المشاهدات

من المدوّنة[1]

الثالثة صباحاً، لا أستطيع التوقف عن التفكير فيما رأيت..

وماذا رأيت يا هذا؟.

● رأيت شباباً وفتيات.. في السن التي نسميها بالمراهقة، وما علمنا منها إلا سيّئها.. قمةً في الحماسة والنشاط.. كلٌّ يعمل بجدٍّ ضارباً عرض الحائط بكل ما سوى العمل التطوعي من فسحة وطقس غائم.. منذ الصباح إلى أن يجبر على المغادرة نظراً لقانون المركز.

● رأيت قاضياً يأبى أن يجتمع بنساء من رؤساء المجموعات الخيرية، ولو على حساب مصلحة العمل الإغاثي.

● رأيت رجال «الحسبة» - أي من حُسِبوا على دين الرحمة والتسامح - بوجوه عابسة، وهم يقتحمون صالةً عرضها

(١) نشرت في صحيفة المدينة، ١٠ ديسمبر ٢٠٠٩.

سبعين متراً تناثر فيها أبناؤنا كلٌّ في شغله، ناهين هذا وناقمين على تلك.. اعتقلوا شابين اثنين تبرّعا أن يوقّعا على أي ورقة مشبوهة في سبيل أن تخرج هذه الحفنة.

ولكن يا هذا.. بماذا عساهم قد تبرعوا أو تصدقوا..؟ فهم أولى الناس بإغاثة الملهوف.. (والضمير على الحسبة).

لا شيء.. أتوا صفر اليدين ولو أنهم دخلوا ولو بكأسٍ من ماء لكان خيراً لهم.

● رأيت مسلمة فاضلة، بلباس ساتر، بكلام يخلو من أي خضوع بالقول، تقول لمن في قلبه مرضٌ: أنا رئيسة مركز «خديجة بنت خويلد لسيدات الأعمال»، ماذا أستطيع أن أقدم لكم؟

ردّ أوسطهم معطياً ظهره لها: ألا تتّقون الله.. ما أصابنا من المصيبة فهو بما كسبت أيدينا من الإختلاط!! ولا بدّ من التوبة.... إلخ. فسألت نفسي: أين هذا الرجل من السيد علي الطنطاوي؟ من هذا الرجل؟ وما خبرته في الحياة غير أنه قرأ بعضاً من حصن المسلم وتجرأ على الفُتية في هذا الوقت العصيب، فتذكرت ودعوت المولى: «اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا» آمين.

الفهرس



ماذا حدث للسعوديين؟

تأثر المجتمع السعودي بما جرى حوله من تبدّلات وتغيّرات عالميّة ... يجني السعوديّون ثمارَها هذه الأيام .

وضمن خط زمني ... يغوص الكاتب في هذه المتغيّرات ليتناول الأحداث العالمية والمحليّة منطلقاً من أربعة محاور رئيسة : ١٩٧٩، ٢٠٠١، ٢٠٠٦، ٢٠١١، واضعاً اليد على الجرح.. متسائلاً، ناقداً، ومبيّناً أثرها بموضوعيّة وبلا تحيّز أو محاباة ، من خلال ما عايشه وحسب قراءته .

الناشر

التوزيع في المملكة العربية السعودية



